صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السابع





العدد السابع
من
السنة السادسة

يوليو ١٩٣٧

سير الحوادث

فى التاسع والعشرين من هذا الشهر تنتهى مهمة مجلس الوصاية فتسلم جميع اختصاصاته لصاحب الجلالة الملك فاروق . والامة كلها مشبعة بالحب نحو هذا الملك الشاب ولصاحبة الجلالة والدته . ولا ينتظر من الملك فاروق غير الولاء للدستور والاعتماد فى الحكم على حزب الاكثرية . ولكن السنوات التى قضاها من يدعى زكى الابراشى باشا فى القصر والتى كانت كلها بلاء على مصر كانت كلها فى معارضة الدستور . ونخشى أن يكون للابراشى هذا تلاميذ فى القصر . ثم الحركة التى قامت أخيرا بطبع المعارضة بطابع دينى والالحاح فى المطالبة بالتتويج فى أحد المساجد توهم أن الدين سيستغل لهدم الدستور . فنرجو من الوزارة القائمة أن تعين من الآن الموظفين المؤتمنين فى القصر حتى لا يكون وجود غيرهم مثارا للوقيعة بين حزب الاكثرية وبين الجالس على العرش وحتى تطمئن الامة على أن دستورها مصون وان الألاعيب التى قام بها بغايا الرجال فى هدمه واضطهاد الأمة لن تعود

قناة السويس

أتفقت الحكومة مع شركة قناة السويس على زيادة حصتها من الشركة من ٢٠٠٠٠٠ الى ٣٠٠٠٠٠ جنيه كما اتفقت معها على أن يكون ثلث الموظفين عندها من المصريين . وكذلك قبلت الشركة أن تقوم فى منطقتها بالطرق العسكرية التى اقتضتها المعاهدة على نفقتها . وهذه الفوائد التى حققتها الوزارة

للأمة تزداد قيمتها حين نعرف أنها نالتها بلا مقابل

ولأول مرة منذ سبعين سنة تقريبا تحصل مصر على شيء محسوس من الفوائد من هذه الشركة التي حفر المصريون لها القناة واستأثرت هي بالربح منها

ايطاليا ومصر

يزداد شعورنا بالخطر يوما بعد يوم من جوار ايطاليا لنا فى طرابلس . فان هذه الدولة تبدى من النشاط فى طرابلس ما لا يمكن تفسيره بالبواعث الاقتصادية . فقد سبق أن أشرنا الى خطورة الطريق العظيم الذى يقطع الاقاليم الشمالية من طرابلس ويصل بين حدود تونس وحدود مصر . والآن نقول ان هذه الدولة لا تفتأ تستعد لحرب قادمة برا وبحرا وجوا . وقدانشأت قواعدبحرية لاسطولها على سواحل طرابلس ولها من القواعد للطائرات عدد غير صغير

وقد كتب المؤرخ الايطالى فيريرو (وهو ليس من الفاشيين) مقالا ننقل منه هذا الجزء التالى .

***

«أن استقلال مصر يكون خطرا عليها اذا هى لم تستكمل اسباب الدفاع عنه واذا لم تكن دائما صديقة وحليفة لدولة عظمى

« وأن مصر ستصبح بعد اسبانيا صاحبة مركز ممتاز فى السياسة الدولية وسيكون لها دوركبير فى الصراع على التوازن فى البحر المتوسط وسيكون هذا الدور الذي ستلعبه مصر أهم من الذي تقوم به اسبانيا الان لانه اذا كانت اسبانيا قائمة على باب من ابواب هذا البحر فان فى استطاعة مصر أن تربض على قلبه بيدها وهى الحارس الوحيد على نقط الاتصال بين هذا البحر وبين البحار الشرقية

«وليكن العالم شاهدا على ما أقول ، ان المشاكل فى مصر ستبدأ كما بدأت فى اسبانيا بدسائس داخلية ومناورات ديبلوماسية وبتنشيط الاختلافات السياسية بين الاحزاب وغير ذلك من الاعمال التى من شأنها ان تفرق بين الناس وتوجد الاضطراب فى النفوس تمهيدا للاعمال المباشرة فى الساعة التى يراها صاحب الامر ملائمة »

هذا ما يقوله المؤرخ فيريرو الذى يسترشد فى حكمه هذا بحوادث التاريخ

فرح أنطون

كتبنا فى العدد الماضى ندعو الي الاحتفال بذكرى فرح انطـون لمرور ١٥ سنة على وفاته وعندنا أن احسن ما نسجل به هذا الاحتفال أن نطبع مؤلفاته جميعها . ومعظمها الآن قد نفدت طبعاته باستثناء رواياته عن الثورة الفرنسية . فان الجيل الناشىء يـكاد يجهل اسم فرح أنطون وهو ينتفع كثيرا اذا طبعت له مؤلفاته وقدمت له لدرسها والاستمتاع بآراء هـذا الـكاتب الـكبير

مى

يؤسفنا ان نقول ان الانباء الواردة من لبنان لا تبشر بخير عن الآنسة الاديبة مى . فقد اختلط ذهنها منذ عامين فنقلت الى بيروت حيث بعض قرابتها . ولـكنها بعد اليأس من العلاج نقلت الي مستشفى حيث هى الآن . والرجاء بشفائها مع الاسف بعيد على ما يقال

وقد عطرت مى الجو الادبى فى مصر بشخصيتها ومؤلفاتها . وكانت شخصيتها على الدوام اكبر من مؤلفاتها . وكانت تجيد الحديث باحسن مما كانت تجيد الـكتابة . ولم يكن لهذا من سبب سوى شعورها بانها شرقية يجب الا تصرح بكل شىء امام جمهور القراء . وكانت هذه الرغبة فى التخفى والتستر من الاسباب التى انتهت بها الى هذا المرض . ولو أن مى ولدت ونشأت فى اوربا لما اصيبت بهذا المرض . بل هى كانت فى الاغلب تتزوج وتجد فى هناء المعيشة الزوجية ما يخفف عنها هـذا المرض. ولـكن الزواج لم يكن سهلا على فتاة أديبة مثل مى نشأت بعقل أوربى فى بيئة شرقية . ومع ذلك نحب الا نقطع الأمل

المسجونون المأجورون

لا تقل التجارب الاجتماعية فى أهميتها عن التجارب العلمية . ومن أحسن هـذه التجارب ما ستقوم به الوزارة الانجليزية اذ ستؤدى للمسجونين اجرا عن عملهم . وهو ليس كبيرا اذ لا يزيد على ستين قرشا فى الشهر . وقد استقر رأيها على ذلك بعد أن جربت طريقة الاجر فى احد السجون فوجدت أن المسجون يحسن عمله كما وكيفا عند ما يؤجر أ كثر مما يحسنه عند ما يسخر

ومن هنا يتضح أن طريق الرحمة مع المساجين خير من طريق القسوة . وليس هـذا مدة سجنه فقط بل بعد ان يخرج منه . فان هدم كرامة المسجون بالتسخير واحيانا بالجلد يجعله غير صالح للعيش بعد خروجه من السجن

تقدم فرانكو

أهم حوادث اسبانيا هذا الشهر الماضي هو استيلاء القائد الثائر فرانكو على بلباو عاصمة باسك فى اسبانيا الشمالية . وقد كان هذا الميدان الشمالى يربط قسما كبيرا من الجيش الثائر . أما وقد سقطت بلباو فان فرانكو قد أصبح أقوى على مهاجمة الحكوميين فى الميدان الشرقى مما كان

وانتصار فرانكو سوف يكون سببا لزيادة الخطر علينا ، فان الفاشيين الايطاليين سيجنهم هذا الانتصار جنونا قد يبعثهم على التوغل فى مغامرات جديدة فى مصر وغير مصر . وسيجد فرانكو بلاده خرابا بعد أن تتم انتصاراته . ولكن مثله لا يبالى خراب وطنه

الوزارة الفرنسية والوزارة الانجليزية

سقطت وزارة المسيو ليون بلوم بسبب معارضة مجلس الشيوخ لبعض قوانينها وتولت الحكم مكانها وزارة أخرى برياسة المسيو شوتان . وهذه الوزارة الثانية لا تختلف من السابقة من حيث اللون الحزبى . فانها يسارية مؤتلفة

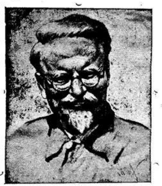
وقد خدم ليون بلوم بلاده بطائفة من القوانين الاجتماعية التى رفعت فرنسا فجأة الى مقام المانيا وبريطانيا والأمم الاسكندناوية فى الرقى الاجتماعى بل هو جعلها تسبق هذه الأمم فى أسبوع الاربعين الساعة للعمل . وقد كانت فرنسا قبله متأخرة فى جميع هذه الاشياء

وقد استقال المستر بولدوين رئيس الوزارة الانجليزية وعهد بالرياسة الى المستر نفيل تشمبرلن . وليس لهذا التغيير اى مغزى سياسى لان استقالة المستر بولدوين ترجع الى الشيخوخة ، والرئيس الجديد لا يختلف منه فى المذهب السياسى

محنة روسيا

ساءت احوال روسيا فى الايام الأخيرة سوءا عظيما . فان ستالين يكاد يرى خصما له فى كل قائد عظيم أو موظف كبير فى الدولة . وهو يتهم هؤلاء بانهم صنائع تروتسكى المقيم الان فى مكسيكا

واذا صحت التهم التى توجه الى هؤلاء الخصوم أو اذا لم تصح فان الاستنتاج القهري لهذه المحاكمات هو ان الفساد قد تفشى فى الحكومة الروسية . وقد الفت مجالس حربية فى الجمهوريات السوفيتية فكأن البلاد ستحكم بنظام لا يختلف عن الحكم الحربى . كما ان الجيش الروسى الذى بقى الى الآن بعيدا عن السياسة سيعود هيئة سياسية للدفاع عن النظام الاشتراكى



تروتسكى الزعيم الشيوعى الذى يقيم الآن في مكسيكا ويتهمه ستالين بانه يدبر المؤامرات في روسيا

الدستور الهندى

سبق أن قلنا ان الدستور الهندى عند ما شرع فى تنفيذه اتضح منه أن ست ولايات قد نجح فيها المؤتمر الهندى (مثل الوفد عندنا) وحصل فيها على أكثرية . ولكنه رفض تولى الوزارات بدعوى أن الدستور ينص على أن لنائب الملك حق « المنع » أي رفض القوانين التى تسنها البرلمانات الهندية . وطلب غاندى من نائب الملك أن يعطى عهدا بأنه لن يستعمل هذا الحق . ودعا نهرو الزعيم الاشتراكى ورئيس المؤتمر الى مقاطعة الوزارات . وبقيت العقدة قائمة أشهرا

ولكن نائب الملك أعلن فى كلام يقارب الصراحة بأنه لن يستعمل هذا الحق الا فى الحالات الشاذة . وقد قبل غاندي هذا التصريح واعتبره كافياً لحل العقدة . ولكن نهرو لا يزال مصرا على الرفض . ولكن المرجح أن الهنود سيتبعون رأي غاندى ويمارسون الحقوق الدستورية الجديدة التى نقلت مقاليد الحكم — أو معظمها — من أيدى الانجليز الى ايديهم . والهند فى الوقت الحاضر تتجه بقوة نحو الاشتراكية والشيوعية بل أن نهرو يعتقد بحق ان الدعوة الاشتراكية هى السبيل الى محو النجاسة عن المنبوذين . لأن رفع مستواهم الاقتصادى يؤدى بهم الى الرقى الذى يرفع مستواهم الاجتماعى

القطب الشمالى

لا يخطر ببال أحد حين يذكر أمامه عبارة القطب الشمالي أنه قارة كبيرة وأن أرضه تكتسى بالعشب طول أشهر الصيف . وقد فكر الروس فى استعماره وبعثوا اليه ببعثة مؤلفة من العلماء

الانفاذ . وغرض هـذه البعثة بحث ممكنات القطب الشمالى من حيث ملاءمته للسكنى والانتاج الاقتصادى . وكذلك النظر فى اقامة مطارات فيه لكى يمكن الروس ان يعبروه الى كندا فى القارة الامريكية بطريق الجو . وارسلت الحكومة الروسية سفنا لتفتيت الثلوج التى تغطى مياه البحر التى تحيط بالقطب او تكاد . وهى ثلوج رانت عليه منذ عشرات الالوف من السنين .وقد نجحوا فى ذلك . وزاد نجاحهم عثورهم على تيار ساخن من الماء يسير تحت القارة القطبية على عمق بعيد .

واذا وفق الروس الى استعمار القطب الشمالى فانهم يفتحون فتحا للحضارة

مجلس بلدى للقاهرة

تشتغل وزارة الصحة هذه الايام بدرس مشروع خطير هو ايجاد مجلس بلدى للقاهرة . وقد كنا قبل الغاء الامتيازات لانستطيع ان نفكر فى هذا المشروع لان الحكومة لم تكن حرة فى فرض الضرائب على الاجانب اسوة بالمصريين . ولعل القاهرة هى البلدة الوحيدة فى العالم التى يزيد سكانها على مليون ساكن ومع ذلك ليس لها مجلس بلدى

وظننا انه عند مايؤلف هذا المجلس يجب ان تمنح له السلطة لاقتراض مليونى او ثلاثة ملايين جنيه لهدم الأحياء القديمة مثل بولاق والسيدة واقامة المبانى الجديدة فيها كما يجب عليه ان ينشىء نحو عشرين متنزه. فان حى شبرا بلغ سكانه نحو ربع مليون ومع ذلك ليس فى هذا الحى حديقة تبلغ مساحتها فدانا أو أقل مع ان الارض رخيصة. وحيث تزدحم المساكن ويسوء بناؤها لفقر اصحابها تكون الحاجة اشـد للمتنزهات والارض ارخص

ومع كل ماقيل عن المجلس البلدى فى الاسكندرية لاتزال هذه المدينة بفضل هذا المجلس ارقى وانظف من القاهرة

حركة الشباب الهتلريين

الاخلاق والوطنية من الصفات الاجتماعية . وليس لهما معنى فى غير الاجتماع . ثم هما لا ينفع فيهما التعليم والتلقين وانما طريقهما التمرين . فلكى يتخلق الصبي بالصدق أو البر يجب ألا يقرأ المقالات أو الكتب فى قواعدهما وانما عليه ان يمارسهما فى معاملته لقرنائه . فالصبي الكذاب يمكن تعويده الصدق كما يعود النظافة أي بالممارسة أي بمعاملة أهله أو الناس . وكذلك الصبي الذى لا يعرف معنى البر والاحسان انما يعلمهما بطريق العمل لا الكلام . وهكذا الشأن فى سائر الاخلاق . بل كذلك الشأن فى الوطنية . فقد تستثار عواطفنا الوطنية بقراءة التاريخ ولكن العمل الوطنى هو الذى يجسم لنا الوطنية . أو بكلمة أخرى يجب لكى نجعل الوطنية أو الاخلاق عادة لا نتمالك من ممارستها أن نخرج بها من النظريات الى العمليات وأن نجعل الجسم يؤدى الحركات التى تحتاج اليها هذه العمليات



فون شيراخ : رئيس فرق الشباب الهتلريين فى المانيا

وهذا هو ما يقوم به الهتلريون الان فى المانيا . فانهم شعروا بحاجتهم الملحة الى مجاد - لاق جديدة توائم النظام الجديد والى وطنية جديدة وطنية حادة مشحوذة ترد الى الامة كرامتها التى جرحتها معاهدة فرساى . فعمدوا الى العمال فنظموا اوقات عملهم وأوقات فراغهم بحيث يشعرون شعورا قويا عميقا بوطنيتهم ونظموا اعيادا للشعب الالمانى تستثير نخوته فى التاريخ

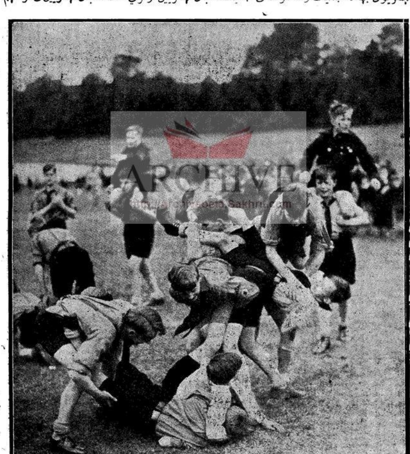
ومقامه فى العـالم . وفـكروا فى الشباب فنظموهم أيضا وجعلوهم يجتمعون فى الخيام أربعة أو خمسة أسابيع كل عام . وهذه الحركة تشبه حركة الـكشافة ولـكنها ليست بهـا . وأن كانت الاثنتان تنتهيان الى غاية واحدة هى تقوية الاخلاق والوطنية

ويشرف على حركة الشباب الهتلريين فون شيراخ وهو يقول فى رسـالة موجهة الى المعلمين الذين يدربون الشباب « انى واثق ان المسئولية هى بلا شك أهم عوامل التربية فى الحياة الانسانية والمشرفون على حركات الشباب فى المانيا يدربون هؤلاء الشباب على المسئولية استنادا الى أن الرجل الوحيد الذي يوثق به انما هو ذلك الذى عرف المسئولية وهو صبى صغير . وهناك خطر ملازم للتربية النظرية هو انها تتجاهل دوافع النفس الى العمل ولذة المسئولية الـكامنتين فى كل صبى . وقد يكون فى النظام الذى يجعل الصبيان يعتمدون على أنفسهم كل الاعتماد بعض النقائص كـما هو الشأن فى كل نظام . ولـكن هذه النقائص لا تعادل الفضائل التى تعود من الثقة الذاتية التى هى مثل أعلى للتربية بل لعلها احسن الأمثلة العليا للتربية . وحصول الانسان عليها هو بلا شك خير له من تعلم الافعال اللاتينية . وانى لا حب الصبى الذي يعرف كيف يرقع بنطلونه الممزق وان لم يكن لديه سوى خيط بلا ابرة كما أحب الصبى الذى اذا وقع فى مأزق عرف كيف ينتهى الى قرار وينفذه وأن لم يكن احدهما مؤدبا الى تلك الدرجة التى يظن أن أبويه كانا عليها »

وهذه الـكلمات تدل على نظر رجال التربية الآن فى المانيا الى معنى التربية أو مغزاها . فان المغزى اخـلاقى . فان المانيا ترغب فى ايجاد رجال يمتازون بقوة الاخلاق أكثر مما يمتازون بسعة الثقافة . ومن هنا هـذه الحماسة لنظام الشباب الهتلرى . فان الفرق تؤلف بالمئات . وهى فئتان . فئة بين سن ١٠ و ١٤ . وفئة بين سن ١٤ و ١٨ . ولا تختلط الفئتان الواحدة بالاخرى حتى لا تتفاوت أذواقهم من حيث اللعب والعمل . ويخرج الفريق من المدينة مثلا فيقصد الى ناحية من الريف قد تبعد عشرة كيلو مترات أو مائة كيلو متر . وهناك يضرب خيامه . وعلى الصبيان أن يقوموا بالطبخ وأن يشرفوا على نظام الخيام . وقد يختلط ابناء الريف بأبناء المدينة فيتعارفون وفى هذا التعارف من الفوائد مالا يحصى . كما أن أبناء الاغنياء المترفين يعاشرون أبناء العمال وينامون معا فى خيمة واحدة . وفى هذا من الديمقراطية الحسية ما فيه . وأحيانا يضربون خيامهم فى قطر آخر مثل هنغاريا او دنمركا او هولندا

ويشرف على هذه الحركة معلمون يلتحقون بمعاهد خاصة يتعلمون فيها المبادىء والمعارف التى يحتاجون اليها فى تعليم الصبيان وتدريبهم على حياة الخيام . وفى المانيا من هذه المعاهد ما يقرب المائة . وليست حركة الفتيات الهتلريات اقل انتشاراً من حركة الشباب الهتلريين

ويجب أن تقول ان الهتلريين لم يخترعوا هذه الحركة اختراعا ولكنهم بنوا على أساس قديم فقبل نحو عشر سنوات انتشرت فى المانيا حركة « خانات الشباب » فقد الفت جمعيات تشترى هنا وهناك بالقرب من بحيرة جميلة أو مدينة اثرية بيتا تحيله الى خان صغير . ويخرج الشبان الجوالون المنتمون الى هذه الجمعيات فيطوفون فى البلاد وينزلون فى هذه الخانات فيجدون طعاما بسيطاً باجر زهيد . وقد انتشرت هذه الجمعيات فى المانيا وأخذتها عنها بعض الامم الاخرى . وقد انتفع الهتلريون بهذه الجمعيات وادغموها فى جمعيات الشبان الهتلريين . وترى تحت الشبان الهتلريين فى مرحهم



شباب الامة والملك الشاب

الاستاذ رمسيس شحاته

اذا استقام لنا الاتحاد وتوافرت لنا الكفاءات وأحسن استغلالها على الوجه الصحيح لم يبق امامنا لضمان النجاح الضمان الكافى الا عامل اخر ذلك هو الشباب

لقد اهمل الشباب فى النهضات السابقة اهمالا مزريا بل لقد حيل بينه وبينها خشية ان يستبد برأيه اذا ما أحس بما هو عليه من قوة وجبروت. وان كان لنا بعض العذر فى ذلك فيما سلف فان الادلة البينة قد قامت على أن الشباب جدير بان يساهم فى نهضتنا وانه قادر على الاشتراك فيها اشتراكا فعليا مجديا ان لم يكن قادرا على القيام باعبائها بمفرده

ولسنا فى حاجة الى التدليل على ذلك . ان دماء الشهداء من الشباب هى التى اعادت لنا الدستور كما ان الثورة التى كانوا يهددون بها كان لها اكبر الاثر فى دفع الانجليز الى مراجعة مسالكهم وسياستهم فى مصر . والى ذلك ما قاموا به من دعاية واسعة وما زالوا يقومون به من عمل جليل فى سبيل احياء الصناعات القومية وانتشال الشئون الاقتصادية والتجارة بجملتها وتشييد صرح استقلالنا من هذه الناحية مما يشهد به مشروع القرش وغيره من الآيات البينات

ولقد تنبهت الدول الاجنبيه الى قيمة الشباب ولكنها تخبطت واخطأت فى رسم الخطط لاستغلال قواه فعمدوا الى الفاشية او الدعوة الشيوعية وكلاهما فى الواقع يرمى الى استغلال قوى الشباب وتنظيم جهودهم ورفعهم نحو غاية معينة

ونحن فى حل من التقيد بهذه الخطط الاجنبية اذ فى استطاعتنا استغلال الشباب على اكمل وجه دون ان نلجأ فى ذلك الى اى النظامين اللذين اشرنا اليهما

فى استطاعتنا مثلا ان نصدع بناء الامية دفعة واحدة وان نقتلع جذورها وأن ننتشل الفلاحين من مخالبها لو اننا وجهنا جهود الشباب المثقف نحو هذه الغاية . فى استطاعة كل طالب من طلبة الكليات ان يعلم من الفلاحين عددا كبيرا القراءة والكتابة دون ان يكلفه ذلك مشقة تذكر ودون أن يتعرض هذا لعمله . علينا بدعوة الشباب الى العمل فى هذه الناحية . وفى استطاعة الحكومة

ان توجيههم الى ذلك وأن ترغيبهم فيه على ان ترسم لذلك الخطط الحكيمة بحيث تتجنب ضياع هذه المجهودات هباء كما يمكن ان يحدث ذلك لو اسيء اختيار خطة العمل وظروفه

وفى استطاعتنا استخدام الشباب من الفلاحين فى اصلاح القرية بحيث نبلغ الغاية منه باسرع ما يكون وعلى اشد ما يكون من الاقتصاد

أما ان نلجأ الى العمل البطىء المتراخي فهذا فوق تكاليفه الباهظة قد لا يؤدى الى نتيجة ما وما رأيك فى مشروع يحتاج فى تنفيذه الى ستة قرون ؟ ان هذا مما يدعو الى الضحك حقا وهو ان دل على شيء لا يدل الا عن أن الخطة التى رسمت لاتمامه قد اسيء اختيارها اساءة تامة

رب معترض يقول ان ذلك يحمل معنى السخرة وهذا فى الواقع سفسطة الكسالى المتراخين اعداء العمل والنشاط

ان السخرة ان نلجأ الى استغلال طبقة الأخرى وهى استغلال جماعات الناس لصالح الافراد أو الجماعات الاخرى . اما استغلال مجموع الشعب ومختلف افراده فى صالح الامة فليس سخره لأنه يساوي بين الجميع ولأن الغاية منه والنتائج التى قد يؤدى اليها عامة سوف تشمل جميع عناصر الامة بالرخاء والرفاهية

اننا ما دمنا نسوي بين جميع أفراد الامة وعناصرها فى ذلك العمل الاصلاحي وما دامت النتائج المقصورة به تشمل الامة باسرها لا يمكن أن نتهم بالسخرة والا لكان كل من التجنيد الاجباري والعمل الاجتماعى سخرة هو الاخر

ان الدعوة الى استخدام جهود الشباب وتوجيهها الى الصالح العام يجب ان تتناسب وقوة ذلك الشباب وقدرته على الانتاج جدير بنا ان ننظم جهود الشباب وأن نستفيد منها بحيث لا يدعو ذلك الى شعوره بالقوة والبطش مما قد يؤدي به الى التحكم والغطرسة

شبابنا يؤمن بحقه فى الحياة ويود لو اتيحت له الفرصة ليرعى ذلك الحق وينميه وهو يتلهف شوقا لان يعمل وأن يساهم فى بناء صرح المجد والوطن باكبر سهم .لقد اقام الدليل على ذلك مرارا فالى متى نهمله ؟ الى متى ندع ذلك الشباب النضر يذوي ويذبل وينحل سريعا دون أن نستفيد من جهوده إن شباب الأمة قوة لا يستهان بها ولعله أعظم ما فيها من قوى ونحن امة عجوز وقد حنى الدهر قامتنا حتى ناءت كواهلنا تحت ثقله مما جعلنا أحوج ما يكون الى لقاح الحيوية والقوة والشباب الا يدعونا كل ذلك الى العناية بالشباب جدير بنا أن نتصابى ولو قليلا فربما أعاد لنا ذلك سابق شبابنا وحيوتنا ونشاطنا

***

والى ما تقدم من دوافع النجاح فى دعوتنا الاصلاحية دافع اخر على قدر عظيم من القوة ولعلنا لو أحسنا توجيهه استطعنا أن نستعيض به عما تقدم من العوامل ذلك هو الملك فاروق

قد يعجب القارىء من ذلك ولكنه لو تأمل قليلا لرأى صحة ما تقول ولتعددت لديه البراهين المؤيدة له . ان الملك فاروق شاب لم يتخط بعد حدود الصبا وهو مع ذلك يتمتع بحب عميق حباه به الشعب عن بكرة أبيه . ولسنا فى حاجة الى اثبات ذلك وان اعوزتك الحجة سل فلاحا من فلاحينا أيا كان عن شعوره نحو الملك لترى ما يفيض قلبه من الحب العميق والتعلق الشديد بشخص المليك

ولقد حبا الملك الشعب الذى أحبه ذلك الحب الجم حبا يعادله أو يزيد . تشهد به تلك الايات البينة التى تتكرر يوما بعد يوم مما يشهد للملك بشدة تعلقه بشعبه وعطفه المتناهى على ذلك الشعب المسكين البائس وحدبه عليه وعنايته به وتمنياته له بالرخاء والسعادة والرفاهية . وهذا الحب برىء طاهر بعيد عن كل غش أو خداع أو مصانعة أو مداهنة وهو حب مشرب بالعزة القومية والنعرة المصرية القوية

أننا لا نبالغ اذا قلنا ان شعوب العالم الان لا تعرف ملكا هذا مبلغ حبه لشعبه وتفانيه فى العمل لاسعاده كما أن التيجان المختلفة لا تضم تاجا هذا مبلغ تعلق الشعب به وحبه له

وفى استطاعتنا أن نستفيد من هذا الظرف السعيد فائدة كبرى . إن الفاروق روح ملتهبة وفؤاد مفعم بحب مصر وهو جدير أن يبعث فى روح الشعب حماسة تفوق كل حماسة إن هذا الشعب المتهدم لا يلبث أن يثب ناهضا وأن يأتى بجلائل الأعمال لو أن دأعى الملك قد دعاه

وليس هذا هو كل ما يستطيعه الملك .إن فى استطاعته أن يوثق عرى الاتحاد بحيث يمسح ما بيننا من الضغائن والاحقاد ويزيل ما يفصل بيننا من حزازات واختلافات.ألم يستطع الملك الراحل ذلك وألم يكن له اليد الطولى فى احتفاظ الامة بجبهتها المتحدة . إن للفاروق مركزا ممتازا وهو يستطيع أن يوحد بين صفوفنا وأن يوفق بين اتجاهاتنا المختلفة بحيث تبدو على أتم ما يكون التناسق والانتظام والتوافق

لا شك أن الظرف قد حبانا بتلك النعمة العظيمة وجدير بنا أن نتنبه الى ذلك من الآن . ليس من الحكمة أن تحول دون الملك والشعب فلقد دالت دولة الحكم المطلق وأصبحت الديموقراطية ديانة الملوك

جدير بنا أن ندع الملك على اتصال بشعبه وأن ندعوه الى المساهمة فى انهاضه متأكدين أنه

قد يقوى على ما لا تقوى عليه قوى الأمة مجتمعة فى سبيل اسعاد البلاد

جدير بنا أن نتحد وأن نعمل جميعا وأن نستغل الشباب وأن نستفيد من موقف الملك الشاب واذا تهيأ لنا ذلك كله اجتمع لدينا أكبر ضمان لنجاحنا اذ يبدو عندئذ جيشا قويا منظما توافرت له القوة والقيادة

لنجعل شعارنا أن نكون جميعا جنودا فى جيش الوطن . ان ذلك هو السبيل الوحيد لاعادة مجدنا القديم وضمان سلامة ورفاهية بلادنا المحبوبة



صاحب السمو الملكي الامير محمد على رئيس مجلس الوصـــــاية الذي تنتهي مدة وصايته في ٢٩ من هذا الشهر

ذكرى مجلس الشراب

لحافظ ابراهيم

فتية الصهباء خير الشاربين ... جددوا بالله عهد الغائبين

واذكروني عند كاسات الطلا ... إنني كنت إمام المدمنين

وإذا ما استنهضتكم ليلة ... دعوة الخمر فثوروا أجمعين

رب ليل قد تعاهدنا على ... ما تعاهدنا وكنا فاعلين

فقضيناه ولم نحفل بما ... سطرت أيدي الكرام الكاتبين

بين أقداح وراح عتقت ... ورياحين وولدان وعين

وسقاة صففت أكوابها ... بعضها البلور والبعض لجين

آنست منا عطاشا كالقطا ... صادفت وردا به ماء معين

فمشت بالكاس والطاس لنا ... مشية الافراح للقلب الحزين

وتوائبنا الى مشمولة ... ذات ألوان تسر الناظرين

عمد الساقى لأن يقتلها ... وهى بكر أحصنت مُذ سنين

ثم لما أن رأى عفتها ... خاف فيها الله رب العالمين

وأجلنا الكاس فيما بيننا ... وعلى الصهباء بتنا عاكفين

وشفينا النفس من كل رشا ... نطقت عيناه بالسحر المبين

وطوى مجلسنا بعد الهنا ... وانشراح الصدر تكبير الاذين

هكذا كنا بأيام الصفا ... ننهب اللذات فى الوقت الثمين

ليت شعرى هل لنا بعد النوى ... من سبيل للقا أم لات حين

عقلية الطربوش وعقلية القبعة

للأستاذ صلاح الدين كامل

تحدث أحد كبار موظفي وزارة المعارف الى مندوب صحيفة يومية فقال ان مسألة استبدال الطربوش بالقبعة مسألة تافهة !

ولا شك أن مما يؤسف له أن تكون تلك النظرة السطحية الساذجة لمسألة الطربوش والقبعة هي نظرة كثير من كبار الموظفين وغير الموظفين من ذوى النفوذ في البلد

أو يظن هؤلاء السادة أن مثل الزعيم كمال أتاتورك رجل تافه حتى يوجه أكبر اهتمامه الى استبدال الطربوش بالقبعة في بلاده ويحكم بالشنق على كل من عارضه في تلك المسألة التافهة ؟ اذن فليسمعوا طرفاً من اقوال هذا المصلح العبقرى وليفكروا ملياً فيما وراء كلماته من معان لعلهم يفهمون حقيقة المسألة ويدركون أهميتها

قال كمال أتاتورك في بعض خطبه أيام انقلاب القبعة ما معناه :

« انا اذا ما لبسنا ملابس تخالف ملابس الغرب بقينا متأخرين لأننا سنظل في نجوة عنه . انظروا الى العالم التركى والاسلامى ، ألا ترون أن العلة فيما نقاسيه الآن هى أننا لم نشكل عقولنا وأرواحنا بما يناسب تطور العالم ؟ بلى . . أن هذا هو سبب تأخرنا وما حاق بنا من نكبات . ولو لا أننا غيرنا عقليتنا في المدة الاخيرة ما استطعنا أن نظفر باستقلالنا

« يجب أن لا نقف حيث نحن ، بل نسير ونتطور يوما بعد يوم . يجب على الأمة أن تدرك أن المدنية تملك من القوة ما تستطيع به أن تحرق وتدمر كل من يقف في سبيلها

« أنى أحارب قوة التعصب بالقبعة ، ولن يفل الحديد إلا الحديد »

وتلك هى نفس الأسباب التى ندعو من أجلها الى لبس القبعة في مصر . واذا كان الاتراك وهم من أخذنا عنهم الطربوش — ضمن التركة السيئة التى ورثناها عنهم — قد قضوا على الطربوش في بلادهم ، فلا معنى لأن نتمسك به نحن ونتعصب له باعتباره شعار العزة والكرامة كما يقولون ! لقد كان الأتراك أولى بذلك . فقد حاربوا وانتصروا وأخضعوا وأذلوا أمما وعلى رأسهم الطربوش

أما نحن فأى عزة أو كرامة تلك التى يرمز لها الطربوش عندنا وقد لبسناه بحكم تبعيتنا للأتراك وظل على رءوسنا سنين كلها ذل واستعباد وفقر وجهل !!

اننا فى الواقع لا نحارب الطربوش لأن القبعة أظرف أو أنسب منه شكلا ، ولذلك لا نرى داعياً لمجادلة أولئك السطحيين الذين يتشدقون بظرف شكل الطربوش ومناسبته لألواننا . ولكننا نحارب الطربوش لأسباب « سيكولوجيه » عميقة بعيدة الأثر فى تطور الأمة ومدنيتها ، ولا ينكر الأثر السيكولوجى لتغيير الأزياء ألا مكابر أو جاهل وغبى . يكفى أن نلاحظ التغيير الشامل الذى يحدث لجماعة المعممين الذين يستبدلون بالعمامة الطربوش لأدراك هذه الظاهرة الأولية

نحن نريد أن نتخذ من استبدال القبعة بالطربوش وسيلة — ليست هى الوسيلة الوحيدة بالطبع وان كانت من الوسائل ذات الاثر الفعال — الى اقتلاع كثير من الأفكار والتقاليد الشرقية العتيقة البالية التى ما زالت متغلغلة فى النفوس ، والى بث أفكار وعوائد جديدة نحن فى أشد الحاجة الى اقتباسها عن مدنية الغرب . نريد أن نغير من الأساس نظرة الرجل المصرى الى المرأة باعتبارها أمة وزينة للمتعة فحسب . . . نريد أن نغير كلية نظرة الشاب المصرى الى وظائف الحكومة أو « الميرى » بتعبيرا آخر الذي تحضك النظرة القديمة على « التمرغ فى ترابه ان فاتك » نريد تغيير نظرة الموظف المصرى الى الشعب وخاصة الفلاح وما زالت تحمل آثار نظرة « الجندى » الى « الفلاح » . . . نريد أن نغير نظرة المصرى الى الأجنبى والأجنبى الى المصري . . . نريد أن نغير تلك العقلية القدرية الذليلة ، التواكل والتهاون والتساهل ، عقلية « معلهش » و « القسمة والنصيب » . . . نريد أن نقضى على عقلية التعصب الأعمى لكل قديم وكراهة كل جديد دون بحث أو تفكير . وباختصار نريد أن نغير عقلية الطربوش الى عقلية القبعة حتى يتيسر لنا اقتباس المدنية الأوربية وهى المدنية الغالبة التى سوف تحرقنا وتدمرنا فى طريقها — على حد قول كمال أتاتورك — اذا لم نسرع بالانضمام الى جيشها وأن نلبس لها لبوسها كما يقول المثل العربى

الفراعنة فى انجلترا

لسلامه موسى

يمكننا ان نتعرف الى آثار الثقافة المصرية القديمه — الفرعونيه — فى انجلترا فى ثلاثة أشياء هي :

١ ـ بعض العادات الاجتماعية الباقية

٢ ـ بعض الاساطير

٣ ـ أسماء المدن والانهار

فأما العادات الاجتماعية فاظهرها فى انجلترا هو هذه العبة — لعبة الكرة — التى تسمى الفوتبول . والمتأمل الذى ينظر إلى هذه العبة بعين المنطق والعقل فقط لا بد قائل ان الاصل فيها هو التسلية والرياضة وانه لهذا السبب نفسه لا تخلو أمة من اسلوب ما فى لعبة الكرة . ولكن التاريخ يقول غير ذلك

فاننا نعرف مثلا ان الفنون الحديثة كالنحت والرسم بل البناء تعود الى عادات دينيه قديمة تتصل بالمعبد والصنم وصورة الميت. وكذلك الدرامة لم تنشأ الا لانها كانت بعض الدين فى المعابد. وهكذا الاصل فى الكرة فانها لعبه مصرية قديمة نشأت عقب الاتحاد القهرى بين الوجهين القبلى والبحري حوالى سنة ٣٤٤٠ قبل الميلاد . فمنذ هذا الاتحاد أصبح الازدواج عاما فى نظام الدولة فقد كان لفرعون تاجان ولبيته بابان بل حتى اهراء القمح كان لكل هرى منه بابان . حتى الاباريق كانت له بلبلتان تصبان الماء . وهذا الازدواج يمثل الوجهين البحرى والقبلى أى المملكتين المتحدتين. وهذه العبارة التاليه تدل على هذا الازدواج :

« سام هوتاج ستفرو الابيض عند باب الجنوب . وسام هوتاج سنفرو الاحمر عند باب الشمال »

وهذا الازدواج قد تفشى فى انحاء العالم . بل هو لا يزال قائما الى الآن فى غينيا الجديدة حيث تنقسم القبائل على نفسها فريقين متباغضين متزاحمين على السلطة فان اتحاد المملكتين فى مصر جعل الهيئة الاجتماعية مزدوجة وتفشلت هذه العقلية من مصر

وفى ضوء هذه الحقيقة يجب ان نعرف الاصل لعبة الكرة . فان هذه اللعبة فى بعض انحاء العالم لا تزال ـ كما كانت الدرامة فى أول نشأتها عند الاغريق القدماء ـ تمارس لاغراض دينية وليست لغرض التسلية. ففى القبائل التى تعيش فى استراليا وفيمى وكارولين وعند الامرنديين يتكون الفريقان اللاعبان « من الطبقتين ولكل طبقة لونها . . . ولكل فريق زعيم . وكان الغرض أن تبقى الكرة فى حيازة الفريق اللاعب بحيث يلقيها افراده من الواحد للآخر حتى لا تصل إلى افراد الفريق الآخر ، وقد تبقى هذه اللعبة ساعات »

فهنا نجد ان فريق الكره يمثل طبقة او فخذامن قبيلة

وقد رسمت الكرة فى مصر مرتين . الاولى فى الدير البحرى حيث معبد هاتور . فان تحتمس الثالث من الاسرة الثامنة عشر يحمل الصولجان ويقدم الكرة للربة هاتور ويقول انه يضرب الكرة أكراما لهاتور حامية طيبة . ورسمت مرة اخري فى أدفو حيث يفهم من قذف الكرة أنه يعنى انتصار الملك

فاذا تركنا مصر وجدنا العلاقة متينة بين الملوكية ولعبة الكرة فقد كانت الكرة والصولجان مرتبطين فى ايران وفى الحضارة الامريكية القديمة اتصلت الكرة بسيادة السلف . وفى أفريقيا الشمالية بين البربر لايزال يستنزل الغيث بلعبة الكرة . أما فى انجلترا التى اشتهرت بأنها هى التى اخترعت الفوتبول فاننا ما زلنا نجد فى عاداتها القديمة اتصالا بين هذه اللعبة وبين الدين او العادات الدينية التقليدية التى تتصل بالاعياد الرومانية ثم باوزوريس الرب المصرى . ففى كونتية سورى يتجمهر فريقان عند كنيسة دوركنج . احدهما من غرب الكنيسة والاخر من شرقها ثم يتخذ اللاعبون سترة خاصة ووجوها مقنعة ويميرون فى موا كب منظمة . وبعد ذلك يشرعون فى اللعب . ويقول هنا السر لورنس جوم أن هذه اللعبة « هى أثر من اثار القبائل القديمة » ويقول ماسينجهام ان الفريقين يتخذ احدهما اللون الاحمر . والفريق الاخر يتخذ اللون الابيض . وهما اللونان الذان يمثلان الوجه البحرى والوجه القبلى. ثم هذا التقنع يعنى انهما يمثلان الموتى وهذه اللعبة بل الحفلة الرسمية تعودبنا الى تمثيل الصراع بين المملكتين المصريتين قبل الاتحاد أيام مينا سنة ٣٤٠٠ ق . م

وعلى ذلك نستطيع القول بان الكرة مثل الدرامة ومثل الفنون لا تعود الى الرغبة فى التسلية بل الى عادة دينية قديمة لها اصول فى تاريخ الفراعنة . وهذا الاصل هو الصراع الذى سبق اتحاد المملكتين

بل هذا الصراع نفسه يتضح فى اصل الدراما الاغريقية اذ كانت مزدوجة التأليف بها فريقان متنازعان . ويرى المستر ماسينجهام ان هذا الصراع يومىء الى اصل دينى يمثل الصراع بين رب الخير هورس ورب الشر سيت . وكلاهما مصرى . بل ان هورس هو فى الاصل ملك الوجه القبلى . وسيت ملك الوجه البحرى . فالصراع يومىء الى ذلك الاصل الذى تعود اليه لعبة الكرة . بل هناك مايدعو الى الظن بأن الالعاب الاولمبية مصرية وترجع الى هذا الاصل نفسه

• • •

ماهو الاصل فى المردة والعفاريت والتنانين ؟

ان المتسائل لتاريخ مصر القديمة والتطورات التى تطورت فيها اربابها ورباتها فى مصر وخارج مصر لايسعه الا الاقتناع بأن هذه المردة والعفاريت والتنانين ان هى الا صور مشوهة من الارباب والربات المصرية . فان الثقافة المصرية كانت تبعد فتتمزق اجزاؤها وتتفكك قصصها وعقائدها ثم تتخذ لونا غريبا وتشتبك بالامكنة النائية عن مصر وتعود وكأنها غريبة عن مصر . ولكن يمكن أن ينفض عنها مايكسوها من الغبار الغريب فتبدو عندئذ مصرية فى صميمها .

والمشهور ان الفينيقيين قد بلغوا انجلترا واستنبطوا منها القصدير والظن السائد انهم أول من استعمرها . ولكن الفينيقيين على حد قول ماسينجهام لم يكونوا سوى «تقليد سىء أو منحط للمصريين » فان المصريين سبقوهم الى انجلترا او غير انجلترا فى طلب الذهب خاصة والمعادن عامة والطيوب

وليست اطلال ستونهنج فى انجلترا سوى تراث مصرى فى البناء قد انحط عن الغاية والشكل المصريين . وهكذا الشأن فى « الآرام » فى جزيرة العرب

وهذا الذى حدث فى البنـاء قد حدث فى العقائد . لأن الثقافة التى حملها المصريون معهم قد تغيرت وشوهت بانقراض حامليهـا . فان الرب المصرى رع نستطيع ان نتبين ملامحه فى المارد الاوربى هيركوليس . فاننا نجده فى اسبانيـا موصوفا بانه ابن الشمس اي انه يوصف كما كانت توصف الفراعنة بل كما كان يوصف ملك بيبلوس المستعمرة المصرية فى سوريا . وهنا نجد الرب مولوك «اى ملك» ومولوك هو الصورة الشرقية للمارد هيركوليس

ونستطيع ان نتبين الربة هاتور بقرنيها فى العفاريت التى لم تكن تخلو من القرون . كما ان رأس الصقر قد انحدر من الرب هورس الى العفاريت ايضا . والثعبان الذى تطورت اليه هاتور فى مصر قد اصبح تنينا يقتله القديس جورج كما يرى الى الان على الجنيه الانجليزى . والصراع بين القديس والتنين هو الطبعة الحديثة للصراع بين هورس وسيت المصريين

والتنين فى اللغة العربية يعنى «الثعبان الكبير» ولكننا نعنى به هنا حيوانا مركبا كالاسفنكس له رأس انسان اجنحة حيوان وجسم اسد او غير ذلك من التركيب. وفى انحاء العالم تناتين كثيرة كلها تعود الى مصر التى تألف فيها التنين من اندغام صفات الالهة حتى صار رأس الصقر يقوم على جسم الانسان او الاسد. والصين التى تسمى «بلاد التنين» اذ هو شعارها القومى ولاشك فى انها نقلت هذه الفكرة عن مصر

« ٥ »

لقد سبق ان اشرت الى رندل هاريس الذى يستقصى الثقافة المصرية القديمة فى انحاء العالم عن سبيل البحث للاسماء وردها الى الاصول المصرية. والان اقول انه كاتب احدهما يسمى «مصر فى بريطانيا» والاخر يسمى «مصر فى جزيرة وايت» وهذه الجزيرة تقع فى جنوب انجلترا. وهو يثبت ان كثيرا من الاسماء للبلاد والانهار والبقاع التى نحسبها انجليزية انما هى مصرية صرفة

وقد كان المصريون فى ترحالهم يقصدون الى تلك البقاع التى تزودهم بحاجتهم من الذهب او الجواهر او المعادن. ولذلك نجد آثارهم فى انجلترا هى فى كورنوال وديفون حيث أحجار الجرانيت الذي يحتوي عروق الذهب. كما نجد هذه الآثار حيث تكون معادن الرصاص والنحاس والقصدير

وآثارهم فى انجلترا هى مثل اثارهم فى مصر اى مقابر فقط. فان البعثات المصرية كان يرؤسها على الدوام اشراف يدفنون لنفس الغاية التى كان يدفن لها الفراعنة وسائر الامراء والاشراف. ولذلك نجد ان هذه القبور تحتوى جميع الصفات التى نجدها فيها نسميه مصطبة ونجد آثار الضحايا من الحيوان ونجد النافذة التى تؤدي الى داخل القبر حيث تتلقى الروح الطعام وهذه القبور تتفاوت فى الصنعة من حيث الدقة لان الصناع المهرة كانوا ينقرضون بموت الصانع او عودته الى مصر أو بقيام جيل جديد ينسى المغزى المقصود من شكل البناء

وقد رسم رنديل هاريس خارطة للاماكن التى يمكن اشتقاق اسمائها من الكلمات المصرية القديمة وهى جميعها — كما ينتظر — تقع متقاربة وتقع فى الجنوب والجنوب الغربى. وهذا يدل على ان المصريين قد دخلوا انجلترا اما عن طريق دوفر بعد عبور فرنسا واما ببلوغ الساحل الجنوبى أو الجنوب الغربى بالسفن القادمة من اسبانيا. فاننا أول ما ندخل انجلترا عند دوفر نجد كونتيه كنت. وهذه لفظة ليس لها أصل تشتق منه غير خنت المصرية التى تعنى اليوم العبور أو السير على النهر. ثم نجد ما يسمى «جزيرة تانيت» فى الشمال الشرقى من كنت. وهذه التسمية ليست الان فى جزيرة ولكنها كانت كذلك فى الازمنة القديمة. وهذا الاسم نعرفه نحن فى تانيس أقدم المدن

المصرية فى الوجه البحرى واكبرها وهى « صان او زوان فى التوراة » ثم نجد المدينة القديمة توتيفس فلا نعرف لها أصلا انجليزيا ولذلك يجب أن نلمح فيها كلمة تحتمس أول فراعنه الأسرة الثانية عشر ثم نجد فى مكان آخر رملة تدعى رملة برا فلا نعرف لهذه اللفظة اشتقاقا فى اللغة الانجليزية القديمة أو الحديثة . واذن ألا نجد فيها تحريفا لكلمة بيرا أى فرعون ؟

ان المصريين الذين رحلوا الى انجلترا للتجارة أو الاستعمار كانوا يسمون البقاع بأسماء المدن والانهار المصرية على نحو ما فعل الكاشفون الجغرافيون فى افريقيا واستراليا الخ . وكلنا يعرف فكتوريا نيانزا ونيو ويلس الجديدة الجنوبية الخ

وآثار ستونهنج من الآثار التى تشير بأكثر من دليل الى أنها مصرية فأين الاسم المصري الذى يدل عليها ؟ هذا الاسم نجده فى هنج — هنـاك : هنكيت أى القربان فى اللغة المصرية . فان هذا المكان الذى كان مقبرة ومعبدا كانت تقدم فيه القرابين للموتى العظماء فيه

فاذا اتجهنا نحو الغرب نجد مكانا يدعى مينيفر وليست هـذه اللفظة سوى مين نفر أي الميناء السعيد

هذا فى انجلترا فاذا تركنا الساحل الجنوبى ونزلنا فى جزيرة وايت وجدنا ايضا أسماء مصرية قديمة عديدة . ويجب أن نلاحظ هنا أن البقعة كلها متقاربة المدن والأماكن ومصرية الاسماء . أى أننا لا نجد اسما مصريا فى جنوب انجلترا واخر فى الشمال . أو اسما فى الشرق وآخر فى الغرب بل نجد الجنوب كله مع جزء من الغرب ومع الجزيرة القريبة منه حافلا بالاسماء المصرية التى نعجز عن أن نعرف لها اصولا انجليزية أو أوربية . فلا بد من التسليم بأن المصريين عاشوا فى هذه المنطقة وان الزمن لم يستطع سوي التحريف للاسماء التى وضعوها . وهنا يلاحظ رنديل هاريس ملحوظة تستحق الالتفات . وهو أنه اذا أصبح أن اسما واحدا — واحداً فقط — يرجع الى أصل مصري فاننا يجب أن نقطع باستعمار المصريين لانجلترا فكيف تكون الحجة اذن ونحن نستطيع تقديم العشرات من الأسماء ؟ بل ان صحة الاسم الواحد تؤثر فى صحة سائر الاسماء

وفى جزيرة وايت هـذه نجد أسماء مصرية كثيرة . فاننا نجد كنيسة باسم ماكر لا يمكن اشتقاقها من أصول اللغات الأوربية ولكن لهذا الاسم معنى اذا قلنا أنه محرف عن ما كيروس أى الظافر . وكذلك نجد أن خلجان الجزيرة تسمى تشاين وهـذه اللفظة مشتقة من أصل مصرى تشا أي يقطع . لأن الخلجان هى قطوع فى الساحل . ونجد لفظة بار بمعنى النهر ولفظة بير فى المصرية القديمة تعنى النيل أو النهر

والقبور القديمة أو الجبانات المهجورة يجب أن تلفت النظر . ففى جزيرة وايت نجد بقعتين بها

جبانات مهجورة . فاننا نجد هنا اسم نيتر (وهو رب مصرى) قد حرف الى نيتل

وفى دورسيت حيث المحاجر العظمى نجد اسم يوربيل فلا نعرف له أصلا انجليزيا . ولكننا نستطيع رده الى كلمة يربال المصرية التى تعنى مكان العمل . ويبد هى أن المصرى القديم الذى عرف نحت الأحجاروصنع التماثيل كان يجمع العمال فى المحاجر ويستخدمهم أو يسخرهم فكان المحجر « مكان العمل »

***

لقد احتل الانجليز بلادنا . والتاريخ يثبت أننا احتللنا بلادهم قبل ٢٠٠٠ سنة وان أسماءنا المصرية لا تزال حيـة فى مدنهم وانهارهم وخلجانهم . بل أن لعبة الكرة التى يتوهم العالم انهم ختصوا بها انما هم قد أخذوها عن مصر بل هم لا يزالون فى كونتية سوري يحتفظون بشمارى لوجه البحرى والوجه القبلى . بل لا يزال الجنيه الانجليزي يحمل فى نقش التنين ربا مصريا قديما



المجرم

للشاعر الالمانى فردريك شيللر

ترجمة الدكتور حسن صادق

كان كريستيان وولف ابن صاحب خان فى قرية صغيرة أمسك عن ذكر اسمها لأسباب ستكشف عن نفسها للقارىء شيئا بعد شىء . وقد ظل يساعد أمه فى ادارة الخان بعد موت ابيه حتى بلغ العشرين من عمره. وكان هذا الخان قليل الحرفاء «الزبائن» غير مطروق الا قليلا . فكانت تمر بوولف ساعات ركود طوال تغمره بالسأم والضيق وتبعث فى نفسه الاكتئاب الشديد . وهو معروف بفساد الخلق فقد كان يطلب العلم فى المدرسة صغيرا ، وكان النساء فى القرية الصغيرة يمقتن جرأته الوقحة ويتناقلن فى مجالسهن التحامل والشكاية . أما الفتيات الماكرات فكن يجحدن فيا بينهن عبقريته المبتكرة . وقد اهملت الطبيعة تكوينه الخلقى ، فكان له وجه صغير لا شكل له ولا جاذبية فيه ، وشعر خشن ذو سواد بغيض ، وأنف افطس ، وشفة عليا منتفخة حادت عن وضعها الاصلى اثر ضربة أصابتها من حافر جواد جامح . كل هذا جعل له منظرا دميما أغلق فى وجهه قلوب النساء وأعد أقرانه وزملاءه بمادة غزيرة للسخرية والازدراء . وقد جرح احتقار الناس اياه كبرياءه فى سن مبكرة وأشعل فى قلبه نار حقد مكبوت لم تخمد طيلة عمره.

اراد ان يحصل بالقوة على ما كان الناس يضنون به عليه . وبعث ايمانه بقبح منظره ودمامة خلقته فكرة مستبدة فى ذهنه هى أن يسر الناس ويستدر اعجابهم به . ولم يكن الا رجلا حسيا ، ومن اجل ذلك أقنع نفسه بأن يحب ، ووقع اختياره على فتاة من قريته تدعى «جانيت» فاستغلته أسوأ استغلال . وكانت الظروف تلهمه الخوف الشديد ان يظهر عليه منافسوه ويكونوا اكثر حظا وأوفر سعادة منه فى ميدان الغرام

كان وولف فقيرا ، وكان يظن ان القلب الذى لا يتفتح أمام الضراعة والجمال، ربما يلين أمام المال والهدايا . ولكن كيف يدبر المال ، والفاقة تستطيب صحبته ، ومحاولاته العقيمة لحفظ مظهره تبتلع

القليـــل الذى يربحه من خانه الـكاسـد ؟ كان مسرفا فى انفاق دخله وجاهلا جد الجهل بوسائل تدبير المال وتنميته ، شديد الكبرياء رخو افلا يستطيع أن ينزل عن حريته العزيزة عليه ويصبح فلاحا بعد ان كان سيدا طليقا ، فلم ير أمامه الا وسيلة واحدة للخلاص من حيرته ! . وسيلة لجأ اليها كثير من الناس غيره من قبله ومن بعده واحرزوا النجاح دونه ، وهو ان يسرق بشرف

كانت قريته تجاور غابة كبيرة يملكهـا أمير البـلاد ، فاتخذها وولف ميدانا لصيـده وكل ماكان يغنمه من عمله هذا ، كان يضعه بين يدى حبيبته فى ابتهاج ووفاء

وكان من بين عشاق «جانيت» شاب يدعى «روبرت» أحد حرس الصيد فى الغـابة ، وقد ادرك بعد وقت وجيز مبلغ التفوق الذى أحرزه عليه منافسه بجوده وكرمه ، وبحث بعين الحسد عن مصدر هذا التطور المباغت ، وواظب على زيارة « خان الشمس » كل يوم ، فلم يمض غير قليل من الوقت حتى كشفت له نظراته الفاحصة التى شـحذتها المنافسة والغيرة عن مصدر المال . وقبل ذلك بأيام قلائل ، أصدرت الحـكومة قانونا صارما خاصا بالذين يصيدون فى غابات ليست ملـكا لهم وجعلت عقوبة السجن جزاء من يخالف هذا القانون

عرف « روبرت» مصدر المال الذى ينفقه عدوه « وولف » على الفتاة ، فشرع يراقب غدوه ورواحه السرى فى عزم وصـبر حتى نجـح فى القبض عليه متلبسا بجرمه . ولـكن « وولف » استطاع بتضحيته بكل مايملك وبعد جهد ومشقة أن يؤدي غرما ماليا وينجو فى هذه المرة من عقوبة السجن

انتصر «روبرت » وأقصى منافسه عن الميدان ، وأفقده عطف «جانيت » وودها ، لأنه أصبح معدما لايملك شيئا من طمام الدنيا

اشتد الحزن بوولف وثقل عليه الزمن وامتلأ صدره بالحقد على عدوه الذي غدا المالك السعيد « لجانيت » . وشعر شعورا عميقا مريرا بفاقته وبالطعنة القاتلة التى أصابت كبرياءه وهدمت صرح احلامه وآماله . الحاجة والغيرة أضرما نار حبه ، والجوع دفعه الى هجر مواطنه والهيام على وجهه فى أنحاء الأرض ، ولـكن الحب والانتقام قيداه فى مسقط رأسه

عاد الى الصيد فى الغابة مرة أخري ، ولـكن رقابة « روبرت » المضاعفة فجعته . وفى هذه المرة عانى « وولف » قسوة القانون وصرامته اذ لم يعد يملك شيئا يهديه الى من يستطيع أنقاذه . وبعد بضعة أسابيع ، نقل الى سجن الأصلاح فى حاضرة البلاد

انقضت سنة العقوبة ، وكان حب « وولف » فى تلك الأثناء قد قواه البعاد والحرمان ، وكبرياؤه قد ازدادت ثورته تحت عبء الشقاء . وما أن استرد حريته حتى أسرع الى قريته ليظهر نفسه أمام

حبيبته ، ولكنها قابلته بالابتسار والأعراض

اصطلحت عليه الحيرة والحاجة الملحة فطوت كبرياءه وقهرت نخوته ، وتقدم ألى الأغنياء يسألهم عملا بمرتب يرد عنه ألم الجوع ، ولكنهم هزوا أكتافهم عند رؤية هذا الشاب الرخو الهزيل ، وفضل هؤلاء الذين لايرحمون سواعد منافسيه القوية على ساعديه . ثم فزع الى محاولة أخيرة ، الى الملجأ الأخير للرجل الشريف ، فقدم نفسه ليكون راعى القرية ، وكان هذا العمل خاليا لايشغله أحد . ولكن الفلاحين أبوا أن يأتمنوا صعلوكا على ماشيتهم وقطعانهم

ولما يئس فى سعيه ورأى الناس يسيئون معاملته فى كل مكان ، عاد ألى الغابة يصيد فيها للمرة الثالثة فاوقعه نكد الطالع فى يدى عدوه الماهر اليقظ

هذا الأجرام المضاعف أصبح ظرفا مشدداً لجريمته ، وقرأ القضاة فى كتاب القانون ، ولكن أحدا منهم لم يقرأ فى نفس المتهم . والقانون يطلب عقوبة رادعة تكون عبرة للناس ، فحكم على « وولف » بالسجن فى قلعة مع الأشغال الشاقة ثلاثة أعوام ، وطبعت على ظهره بحديد محمى علامة الأجرام

أنقضت مدة العقوبة وخرج من القلعة ، ولكنه غادرها شخصا آخر غير الذى دخلها ، وهنا يبدأ عهد جديد فى حياته . ولنسمع الى الاعترافات التى أدلى بها « وولف » نفسه الى رجال العدالة فيما بعد وإلى القسيس الذي حضره قبيل موته :

« دخلت القلعة بائسا ضالا وخرجت منها شيطانا لئيما جسورا . الى ذلك الحين كان لم يزل لى فى العالم شىء عزيز على ، وقد انحنى كبريائى تحت عبء العار والخزي . ولما قادونى ألى القلعة ، سجنونى مع ثلاثة وعشرين سجينا ، قاتلين اثنين والاخرين من أسوأ اللصوص والافاقين . كانوا يسخرون منى حين أتكلم عن الله ، ويدفعوننى الى النطق بالتجديف المعيب ضد المسيح المنقذ وكانوا ينشدون أمامى الاغانى البذيئة التى لم أستطع مهما كنت صعلوكا ، أن أسمعها فى غير اشمئزاز وجزع . أقوالهم وأغانيهم أضرمت نار الثورة فى دخيلتى ، وأعمالهم ضاعفت ثورتى وهياجى ما كان يمر يوم من غير أن أسمع أحدهم يقص تاريخ حياة زاخرة بالفضيحة أو يضع خطة عمل سىء فى داخل السجن . وفى أول الأمر كنت أتجنبهم وأهرب من أقوالهم ما استطعت ألى الهرب سبيلا ، ولكننى كنت فى حاجة الى المعونة والمساعدة . ولأ تكلم فى أخلاص .. كنت فى حاجة ألى الشفقة والرحمة ، فلم أستطع شراءهما الا بتضحية القليل الذى تبقى لى من الضمير . وكذلك ألفت على مر الايام أبشع الوان الفزع . وفى الأشهر الثلاثة الأخيرة من سجنى . سبقت أساتذتى فى مضارهم وتفوقت عليهم فى فنهم

« منذ ذلك الحين ، تملكني شوق لجوج ألى يوم حريق ، ورغبة جامحة فى الانتقام . الناس جيعا أساءوا الى واعتدوا على ، لأنهم كانوا جيعا أحسن حظا وأكثر سعادة منى . نظرت الى نفسى نظرتى ألى شهيد الحق الطبيعى وضحية القوانين. كنت أهز سلاسلى وأصر على أسنانى حين كانت الشمس تشرق من خلف الجبل المقامة عليه القلعة ... آه ! المنظر الوسيع هو جحيم مضاعف فى نظر السجين ! الهواء الحر الذى يهب على البرج ، والعندليب الذى يقف من حين الى اخر على قضبان نافذتى الحديدية ، كان يخيل الى أنهما يفاخرانى بالحرية ، وكانا يجعلان سجنى أشد هولا وفظاعة مما كان . حينئذ نذرت بغضا متأججا للأنسان وكل ما يشبه الأنسان . وقد وفيت هذا النذر فى دقة وأخلاص وأمانة

«واول شيء اتجه اليه ذهنى لما ردت على الحرية ، هو قريتى الصغيرة . ولم أكن آمل بعد الذي وصلت اليه من حالى فى أيجاد مصدر الرزق . ولكني فى مقابل هذا اعتزمت أن أطفىء غلتي وأروي ظمأى بالانتقام الرهيب

« دنوت من القرية ورأيت من بعيد قبة الناقوس تبدو من وسط الغابة ، فأسرعت دقات قلبى فى عنف شديد . لم أشعر بذلك الرضى النفسى الذى شعرت به غد عودتى الأولى ، بل تنبهت فى دخيلتى ذكرى الشر والاضطهاد الذي ألمت فيا مضى من الأيام ، واستيقظت دفعة واحدة كأنما قد أفاقت من يوم طويل موعب . عادت جراحى كلها تدمى ثانية وتفتحت فى ألم حاد بعد أن كانت قد التأمت ... ضاعفت الخطى لأني كنت أستمتع مقدما بمنظر أعدائى حين يزعجهم ظهورى المباغت ، وكنت فى ذلك الوقت على ظمأ الى مهانات جديدة بقدر ما كنت أخشاها فى سابق أيامى

« كانت النواقيس تدق مؤذنة بصلاة العصر حين وجدت نفسى فى وسط ميدان السوق .. وكان الناس يسيرون نحو البيعة جماعات ، فعرفونى فى الحال وتراجعوا أفرادا دهشا ورعبا . كنت فى كل حين أحب الاطفال الصغار وأعطف عليهم ، وفى تلك اللحظة مر بى صبي يلعب ويقفز فقدمت اليه قطعة من المال ، ولا أدرى كيف فعلت هذا ، ولكنى شعرت بقوة خفية تدفعنى اليه لم أستطع مقاومتها . حدق الصبي فى لحظات ثم ألقى القطعة فى وجهى وأخذ سبيله ركضا ووثبا . ولو كان عندى قليل من الروية والرزانة ، لادركت أن اللحية الطويلة التي كنت أحملها من سجنى تشوه وجهي تشويها مخيفا ، ولكن قلبي الرديء الشرير افسد عقلى وقضى على اتزانه . . . بكيت وسالت على خدى دموع لم أذق مثلها فى حياتي قط

« هذا الصبي لا يعرف من أكون ولا من أين اتيت ، ومع هذا فانه يفر منى كما يفر من حشرة

سامة . أكان جبيني يحمل وصمة فضيحة أم لم أعد أشبه الانسان لانى أشعر بأنى أصبحت عاجزا عن أن أحب أحدا من الناس ؟ هذا ما جال بخاطرى وقلته لنفسي في صوت خافت

« احتقار هذا الصبى بعث في نفسي ألما أكثر مرارة من ألم السنوات الثلاث التى مضيتها فى الأشغال الشاقة ، لأنى أردت له الخير ولم أستطع أن أنسب اليه أية كراهية شخصية

« جلست على حافة طريق ضيقة أمام الكنيسة ، ولم أدر على وجه الدقة فى ذلك الوقت مرجو نفسى ومتمناها . ومع هذا أعرف وأذكر جيدا أنى نهضت مهتاجا حين رأيت أن الذين يعرفوننى جد المعرفة ، يمرون بى معرضين ولا يحيينى أحد منهم جديرا بتحية منه . تركت مكانى مغيظا لأبحث عن خان أقضى فيه الليل . وبينما كنت عند منعطف الطريق ، رأيت أمامى « جانيت » وجها لوجه . فصاحت بصوت مرتفع « صاحب الشمس ! » وتقدمت ومدت ذراعيها لتعانقنى وهى تقول « ها أنت ذا قد عدت ياعزيزى كريستيان ! الحمد لله الذى ردك الينا ! » آه ! تجلى الجوع والبؤس فى ملابسها الخلقة المتداعية ، وبدت على وجهها أعراض مرض خبيث معيب ، ودل منظرها فى وضوح على أنها فتاة ضلت وسقطت الى أسفل درجات المذلة والعار . أدركت فى الحال ما نالها وما كان متوقعا أن يحدث لها . قابلت فى طريقى بعض الجنود فعرفت استنتاجا أن بالقرية فرقة من الجيش ، فصحت فى وجه الفتاة قائلا « فتاة المعسكر ! » وأدرت لها ظهرى ضاحكا . شعرت بنوع من الاستمتاع لما وجدت مخلوقة أسفل منى فى سلم المخلوقات .. اعتقد بانى لم احبها قط

ماتت امى حين كنت فى السجن ، واستولى دائنى على بيتى الصغير واستخلصوا منه دينهم . لم يعد لى فى الحياة أهل أو اقرباء . لم يبق لى من متاع الدنيا شىء . الناس جميعا يفرون منى كما يفرون من وحش مفترس . ولكنى كنت قد نسيت العار . فى سابق الايام كنت اتوارى عن الانظار عجزا عن احتمال الازدراء ، ثم تغيرت الحال واصبحت أظهر نفسى للناس عن عمد وفى اصرار ، وأشعر بمسرة عظيمة حين جعلتهم يفرون منى خوفا وذعرا . اثلج فؤادى انى لم أعد أملك ما أخشى ضياعه لا شىء يقيدنى ويلهمنى التعلق به . لم أعد فى حاجة الى أية مهنة شريفة أو عمل حسن لان أحدا من الناس لم يعد يفرض فى هذه الجدارة . جعلنى الناس اكفر عن خطايا لم اكن قد ارتكبتها بعد .. النوع الانسانى كان مدينى . كان لى الحق فى عمل الشر كله الذى احتملت مقدما ألمه وعبئه وعقوبته ، وضياع شرفى أو عارى كان رأس المال الذى كنت أستطيع بارباحه أن اثار لنفسى خلاله وقت طويل

العالم بأسره فتح أمامى . ربما كنت أستطيع الذهاب الى بلد أجنبى فيقبلنى كرجل شريف لأنه

يجهل ماضى المعيب ، ولكنى فقدت حتى الميل الى الظهور فى ثوب الشريف : اليأس والعار انتهى بهما الامر الى خلق هذه العواطف فى صدرى . ومنذ ذلك الحين . بذلت كل جهدى فى تسلم السلو عن الشرف ورضت نفسى على نسيانه ، اذ لم أعد استطيع ادعاءه أو التطلع اليه . ولو كان غرورى وكبريائى استطاعا أن يعيشا بعد سقوطى وخزيى ، لكنت مضطرا الى قتل نفسى لا محالة

« كنت لا ازال اجهل علام عزمت . أردت عمل الشر ! هذا هو كل ما اذكره فى غير وضوح أردت ان استحق حظى ، وفكرت وقلت فى نفسى « القوانين نعمة وخير للناس »

« وما أن جرت هذه الجملة بخاطرى حتى عزمت على خرق القوانين . فى الزمن السالف ارتكبت الخطيئة عن ضرورة وطنيش ، ولكنى منذ تلك اللحظة ارتكبتها عن اختيار ورغبة فى ادخال السرور على نفسى

« وأول عمل اقدمت عليه هو مواصلة الصيد فى الغابة على الرغم من القانون . وقد أصبح الصيد عندى على مر الايام ولعا شديدا ما اطيق الصبر عنه ، وكنت فى حاجة الى الغذاء لاعيش : ولكن لم يكن هذا كل شىء ، بل اتخذت لنفسى قاعدة لا أحيد عنها وهى أن اتحدى أمر الامير وأخرج على قوانينه وأخلق له اسباب الالم بقدر ما فى استطاعتى : لم يعد يشغل بالى أمر القبض على لانى اخذت الحيطة لنفسى وأعددت الرصاص لمن يريد ان يأذن بى ويدل على . وكنت أعلم تمام العلم بان طلقتى لن تخطىء المرمى . فقتلت كل حيوان الصيد الذى قابلته ، ولم ابع منه عند الحدود الا القليل ، وتركت الجزء الاكبر فى مكانه يفسد ويتعفن

« كنت أعيش فى بؤس لأقوم قبل كل شىء اخر بنفقات بارودى ورصاصى . وقد أثارت اعمالى فى الغابة وقتلى لما فيها من الحيوان ضجة شديدة ، ولكن الشك لم يتجه الى لان منظري التعس كان يرده عنى ، وأسمي كان قد طواه النسيان فى جوفه

« عشت هذا النوع من الحياة بضعة أشهر . وفى صباح أحد الأيام ، نهضت للصيد كعادتى وظللت اقتفى أثر أرنب برى زهاء ساعتين . وبينما كنت على وشك التحول عنه ، رأيته فجأة على مرمى بندقيتى ، فأردت أن استعد وأطلق ، ولكنى لمحت على حين بغتة قبعة ملقاة على الارض على بعـــد خطوات منى ، فأخـــذنى الدهش . أنعمت النظر جيداً فرأيت حارس الصيد « روبرت » خلف شجرة سنديان كبيرة يصوب بندقيته الى الحيوان نفسه الذى كنت أعددت له رصاصتى . وفى تلك اللحظة مرت فى جسمى برودة أليمة ورعدة قوية رأيت الرجل الذى أبغضه أ كثر من أي مخلوق آخر فى الحياة ، وهـذا الرجل كان أمامى على مرمى بندقيتى ، فتجمع بغضى كله فى نهاية الاصبع الذى يقوم عادة بالحركة القاتلة .. يد خفية مروعة

سبحت فى الهواء فوق رأسى .. وعقرب حظى سجلت هذه الدقيقة السوداء المحتومة ... اضطربت ذراعى بينما كنت أترك لبندقيتى الخيار الفظيع بين الأرنب والرجل .اصطكت أسنانى واستولت على الرعدة واحتبست أنفاسى اللاهثة فى صدرى ، ترددت بين « روبرت » والأرنب ، واتجهت فوهة البندقية الى أحدهما ثم الى الآخر على التوالى كأنما قد انتقل ترددى اليها .. قام بين الرغبة فى الانتقام والضمير نضال عنيف ما كان من السهل استنتاج ما يسفر عنه . ولكن شهوة الانتقام تغلبت على الضمير ، ووقع « روبرت » على الأرض يتخبط فى دمه

« سلام نفسى أفلت منى مع الرصاصة القاتلة .. غمغمت فى بطء بهذه الكلمة الهائلة « قاتل ! » الغابة كانت صامتة كالمقبرة ، فسمعت نفسى أقول فى وضوح « قاتل ! » . دنوت منه وأنا أتحامل على نفسى ، وفى تلك اللحظة استوفى أنفاسه . ظللت وقتاً طويلا واقفاً أمام الجثة جامدا مبهوتاً ثم صدر عنى رنين ضحك أعاد الى التنفس ، فقلت « أسكت الآن يا صديقى العزيز ؟! » . وتقدمت فى جرأة وأدرت الى الضوء وجه القتيل فرأيت عينيه مفتوحتين الى النهاية ... تركت هذا الوجه الميت وعاد الى الجد والعبوس فسكت فجأة .. بدأت أشعر بأنى فى حالة نفسية غريبة

« الشر الذى فعلته الى ذلك الوقت ، كنت أثبته فى سجل حياتى على حساب عارى وضياع شرفى .. ولكنى أقدمت على عمل لم أكن قد كفرته بعد ، أقدمت على القتل .. أعتقد بأن أحداً من قبل أن أرتكب هذه الجريمة بساعة واحدة ، ما كان يقدر على اقناعى بأن على سطح الغبراء مخلوقاً أكثر منى بؤسا وشقاء . ولكنى بعد الجريمة بدأت أظن أنى ربما كنت قبل ارتكابها بساعة واحدة ، خليقا أن يحسدنى كثير من الناس غيرى !

« لم يمر بذهنى قط فكرة حساب الله وعقابه ، ولكن صورة مضطربة تمثلت لذهنى فبعثت فى نفسى رعدة الهلع صورة تنفيذا حكم الموت فى قاتل ولده ، وكنت قد شاهدت هذا المنظر لما كنت طالبا صغيرا .. أدركت أن حياتى أصبحت ملكا للعدالة ، وهذه الفكرة آلمتنى جد الألم وأخذت من نفسى كل مأخذ .. لا أذكر شيئا غير هذا

« وبعد قليل شعرت بأنى أتمنى أن لو كان « روبرت » لا يزال حياً . بذلت الجهد كله فى تذكر الأذى الفظيع الذى اصابنى به فى حياته ، مما يدعو الى العجب أن ذاكرتى كانت فى تلك اللحظات راكدة هامدة . لم يعد فى استطاعتى أن أتمثل أعمال القتيل التى أضرمت نار غضبى منذ ربع ساعة ، ولم أدر البتة كيف وصلت بى الحال الى ارتكاب هذا الجرم

« وبينما كنت واقفاً أمام الجثة ساهم الوجه مشتت اللب تتوزعنى الخواطر القاتمة وتصطلح على الهواجس الاليمة ، سمعت ضربات سوط وصوت بعض العجلات تجتاز الغابة ، فعدت الى نفسى

وكانت الجريمة قد وقعت على بعد خطوات من الطريق العام الكبير ، فكان من الواجب على أن أفكر فى النجاة

« تغلغلت فى الغابة على الرغم منى بمحض الغريزة . وفى أثناء مسيري ، تذكرت أن القتيل كان يحمل ساعة . وكنت فى حاجة الى المال لأبلغ الحدود . ومع هذا أعوزتنى الشجاعة فترددت فى العودة الى مكان الجثة ... فكرة الشيطان والله الكائن فى كل الوجود أفزعتنى . وبعد قليل من اللحظات استصرخت الجلد واستجمعت قوتى المبعثرة وعدت الى مكان الجريمة ، عازما ومصرا على مقابلة كل شىء حتى الجحيم نفسه فى أقدام وبسالة . وجدت ما أريد وعثرت فضلا عن ذلك على بعض المال فى كيس أخضر اللون . واذ كنت على وشك أن أضع فى جيبى ما وجدت ، توقفت فجأة وشرعت أفكر فى الامر . لم يكن هذا التردد نتيجة شعورى بازدياد خزيى أو مخافة أن أضاعف جرمى بالسرقة ، ولكنه كان نتيجة الانفة والكبرياء كما أعتقد .. ألقيت الساعة ونصف المال على الارض وأبقيت لنفسى النصف الآخر ، وأردت بعملى هذا أن أعتبر كعدو شخصى للقتيل لا كلص حقير

« تسللت الى قلب الغابة ، وكنت أعرف أنها تمتد نحو الشمال الى مسافة بعيدة حتى تمس حدود البلاد ، فأطلقت لساقى العنان وظللت اعدو حتى الظهر . وبذل هذا الجهد فى الهرب أوقف وخز ضميرى بادىء الرأى ، ولكنه عاد رويدا بفظاعة أكثر بقدر ما كانت قوتى تخور وتنفد. أشباح مخيفة مرت أمام عينى وخيل الى أنها تطعن صدرى بأسلحة حادة قاطعة ... لم يبق لى الا أن أختار أحد أمرين ، كلاهما بشع بغيض ولكن لا مفر منه : اما الحياة النكدة التى يسمم لحظاتها خوف الموت المستمر ، واما الانتحار . ولكنى لم أجد من قلبى القوة على ترك الحياة مختارا ، وكان البقاء فى العاجلة يروعنى فى الوقت نفسه .. كنت بين شقى المقص : بين ألوان العذاب المؤكدة فى الحياة ، ومخاوف الخلود المجهولة . كنت عاجزا عن احتمال الحياة وشديد الجبن أمام الموت ، وهذا شر ما يبتلى به الانسان . وفى هذه الحال قضيت الساعة السادسة من هربى ! ساعة تجمعت فيها آلام لم يشعر بمثلها غيرى من البشر

« انطويت على نفسى ومررت فى بطء منكس الرأس خافض البصر ، وقد أخفيت جبينى وعينى بحافة القبعة من غير أن أشعر بما فعلت ، كأنما كان هذا يجعلنى مجهولا فى عين الطبيعة الساكنة . سلكت عن غير قصد ممشى ضيقا ألقى بى الى أجمة مظلمة ، وعلى حين بغتة سمعت صوتا عاليا خشنا آمرا يقول « قف ! » الصوت كان قريبا منى وآتيا من الجهة الأمامية ، ولكن تبلبل بالى وقبعتى التى تغطى عينى حالا بينى وبين رؤية ما حولى . رفعت حافة القبعة قليلا ودرت

ببصرى فى المكان ، فرأيت رجلا مقبلا نحوى ، وحشى المنظر يحمل فى يده عصا عجراء . كان عملاقا فى تكوين جسمه « هذا ادراك النظرة الاولى على الأقل » وكان جلده أصفر اللون ضاربا الى السواد ، يجذب النظر فى وجهه بياض عين مريبة . وكان يلبس معطفاً قصيرا من الصوف الأخضر وفى وسطه حبل ضخم معلق به خنجر كبير وغدارة مخيفة

« كرر هذا الرجل كلمته فى صوت هائل « قف ! » وشعرت بذراع قوية تمسك بى . أفزعنى أن أسمع صوت انسان ، ولكن رؤية شقى شرير بعثت فى قلبى الشجاعة . حالتى فى تلك اللحظة كانت تلهمنى أسباب الاضطراب والخجل أمام كل رجل شريف ، ولكنها لا تلهمنى هذه الأسباب أمام لص وقاطع طريق

« قال لى من أنت ؟ فأجبت زميل ونظير اذا كنت حقا كما تنم عنك هيئتك . سكت قليلا ثم قال : ليس هذا هو الطريق . علام تبحث هنا ؟ فأجبت فى لهجة جارحة : وأنت ؟ بأى حق تسألنى ؟ صوب نظره فى وصعده ، وأنتقل به من قمة رأسى الى اخمص قدمى جملة مرات ، كأنما أراد أن يقارن وجهى بوجهه وحوابى بوجهى ، ثم قال : انك تتكلم فى غلظة كشحاذ ! . فأمرعت اليه بهذا الجواب . ربما . لقد كنت كما تقول بالامس . شرع الرجل يضحك ويغرب فى الضحك ثم قال فى لهجة التهكم . منظرك يدل على أنك حتى الساعة لا تميل الى أن تعتبر أحسن حالا من الشحاذ ! فقلت فى دهش . ألى هذا الحد ؟! وأردت أن آخذ سبيلى ، فاستوقفنى قائلا . هدىء من روعك ياصديقى ، ما الذى يجعلك عجولا هكذا ؟ أوقتك نفيس الى هذه الدرجة ؟ فكرت قليلا ثم قلت فى بطء . الحياة قصيرة والجحيم خالد . ولا أدرى كيف خرجت هذه الكلمات من فمى . حدق الرجل فى وجهى طويلا ثم قال . لعنة الله على اذا لم تكن قد رأيت المشنقة من كثب ! أعتقد أنك رتكبت جرائم فى حياتك ، فأجبت فى هدوء . من الجائز جدا أن يكون الأمر كما ذكرت . الى اللقاء أيها الزميل . استوقفنى الرجل مرة ثانية وقال : قف أيها الزميل . وأخرج من جيبه قارورة من الصفيح وشرب منها جرعة كبيرة ثم قدمها الى

« الجري والقلق كانا قد استنفدا قوتى ، وكنت طوال هذا اليوم الأسود طاويا لم أذق طعاما وخفت أن أموت جوعا فى هذه الغابة التى لا أمل لى أن أجد فيها شيئا أتبلغ به . تصوروا أيها الناس مبلغ الفرح الذى قابلت به هدية هذا الرجل . بهذا الشراب المنعش الذى قدمه الى جرت فى أعضائى قوة جديدة وسرت فى قلبى شجاعة وليدة وامتلأت نفسى بحب الحياة والأمل فيها بدأت أعتقد بأنى ، مع ما أنا فيه ، لم أكن بائسا ، أقصى حدود البؤس ، وهذا أثر الشراب الصعيد . نعم أعترف أن مركزى لمس السعادة بعد طول الحرمان ، لانى وجدت فى النهاية مخلوقا مثلى . حالى التى صرت

فيها جعلتني مضطراً الى عقد أواصر الصداقة ، والشراب فى يدى ، بيني وبين شيطان من جهنم ، لا لشيء الا لأحصل على مسارة انسان وأحظى بحديثه واسراره

« استلقى الرجل على العشب وفعلت مثله ثم قلت له « شرابك بديع مفيد . ينبغي أن نتعارف »

« انتظرت لحظات حتى اشعل غليونه ثم قلت .هل مضى عليك وقت طويل وأنت تقوم بالمهنة؟ فتفرس فى وجهى وقال . ماذا تعنى بقولك ؟ فاجبت . هل يتمتع هذا بالدم منذ زمن بعيد؟ وتناولت الخنجر من منطقته . فالقى غليونه وقال بصوت نحيف . من أنت ؟

— قاتل مثلك ، ولكن مبتدىء فى أول السبيل

وجه الى نظرات رهيبة ، وتناول غليونه ثم سألنى

— اليس لكل موطن ؟

— موطنى على بعد عشرة فراسخ من هنا ، انى صاحب الشمس فهل ترامى اليك خبري

انتفض الرجل قائما من دهش المفاجأة وهو يصيح فى قوة

— سارق الصيد وولف؟

— نعم

أمسك بيدي رشد عليها وقال وهو يهزها بقوة

— اهلا بك أيها الزميل . مرحبا مرحبا ! ما أعظم سرورى وسعادتي اذ عثرت بك ياصاحب الشمس بعد طول الانتظار ! لطالما فكرت فى لقائك الاشهر والاعوام . انى اعرفك جيدا . اعرف كل شيء .كنت اعتمد عليك منذزمن بعيد

— تعتمد على ؟ ولماذا وكيف ؟

— البلادكلها لا تتحدث الا عنك . لك اعداء الداء.. لقد ظلمك القضاة ياوولف ! أصابك الدمار والخراب ، ورأيت من الناس معاملة تستوجب الانتقام

سكت قليلا ثم قال فى حماسة أخاذة

— الأنك صدت خنزيرين وحشيين من هذه الخنازير التى يربيها الامير فى ارضنا ويطعمها من حقولنا لتمتلىء لحما وشحما ، يحكمون عليك بالاقامة أعواما فى سجن الاصلاح وفى القلعة ، ثم يأخذون بيتك جورا وعدوانا ويجعلون منك معوزا شحاذا ، هل وصلنا الى هذه الحال يا أخى ، حتى ان الرجل لم يعد له قيمة اكبر من ارنب ؟ هل اصبح من الواجب أن يعامل رعايا الامير كأنهم

أمثال الخنازير ؟ اليست لنا قيمة أرفع من ماشية الحقول ؟ كيف استطاع رجل مثلك أن يصبر على هذا الضيم ؟

— ماذا كنت أستطيع فعله ؟

— هذا ما سنراه . ولكن خبرني من أين أنت قادم الآن ؟ وأية خطة تدبرها فى ذهنك

قصصت عليه تاريخ حياتى فى تفاصيله ، ولكنه لم ينتظر نهاية حديثى ، بل نهض وقد استنفد صبره الفرح وقال وهو يجذبنى من يدى

— تعال ياصاحب الشمس ، تعال يا أخى العزيز . أنت الآن فى درجة النضج ، فى الدرجة التى أريدها . ستكون لى مبعث الشرف والفخار . اتبعنى

— الى أين ؟

— لا تسألنى كثيرا . أتبعنى

دفعنى أمامه بقوة . وبعد مسير ربع فرسخ ، بدأت الارض تزداد رويدا وعورة وانحدارا ، والغابة كثافة ووحشة . كنا صامتين ، وفجأة أرسل قائدى صفيرا خاصا ، ففزعت وتنبهت من بلابلى وأفكارى ، فرأيت نفسى على صخرة كبيرة تطل على هوة عميقة . ثم سمعت صفيرا آخر من جوف الهوة يجيب على صفير قائدى ، وخرج منها سلم فى بطء وكأنما كان يصعد الينا من تلقاء نفسه وهنا تقدم الى الرجل ان انتظر عودته وقال

— ينبغى قبل أن اصحبك أن آمر بربط الكلب فى السلسلة . أنت هنا غريب وأخشى أن يمزقك الحيوان المفترس

ثم نزل على السلم وغاب عن عينى فى احشاء الهوة

وقفت وحيدا على حافتها ، وكنت أعرف جد المعرفة انى بمفردى ، ولم يستغلق على طيش قائدى وكان القضاء على من بالهوة لا يكلفنى اكثر من عزم جرىء لأجذب الى السلم فأضمن فرارى وأغدو حرا لا سلطان لاحد على . أعترف ان هذه الفكرة مرت بخاطرى . ارسلت نظرى الى جوف الهوة لتى ستستقبلنى ، وشرعت افكر تفكيرا مستبها فى هاوية الجحيم التى لا يخرج الانسان منها أبدا بدأت ارتعش من فكرة السبيل الجديدة التى سأسلكها فى الحياة وادركت أن لا سبيل الى النجاة الا بفرار سريع ، فعولت على الركون اليه .. مددت ذراعى نحو السلم لانفاذ عزمى

ولكن على حين بغتة انفجرت من حولى ضحكة ساخرة فى رنين خيل الى أنه قصف رعد ينبعث من الهوة ، ثم سمعت هذه الكلمات فى دخيلتى « ماالذى يخشاه قاتل » فسقطت ذراعى الى جانبى وعجزت عن الحركة

نفذ القضاء ومضى زمن الندم . جريمة القتل التى ارتكبتها كانت قائمة من ورائي كصخرة هائلة لا يمكن اجتيازها ، تغلق وتعترض دائما طريق عودتي الى السلام . وفى الوقت نفسه ظهر قائدي وطلب منى أن اصحبه ، فنزلت معه اذ لم يكن لى بعد ذلك أن اتردد أو اختار

وما أن سرنا بضع خطوات تحت الصخرة حتى رأيت الجوف اتسع ، وبصرت ببعض أكواخ متناثرة فى وسطها مرج صغير مستدير مستلقين عليه جماعة من الرجال والنساء يبلغ عددهم ثمانية عشر أو عشرين ، وهم يصطلون . فأجلسني قائدي بينهم وقال

— ها هو ذا صاحب الشمس ! رحبوا به واكرموا مثواه !

« صاح الجميع فى صوت واحد . صاحب الشمس ! ثم نهضوا فى سرعة عجيبة وأحاطوا بى رجالا ونساء . اينبغى الاعتراف فى صراحة ؟ الفرح كان وديا خالصا . والثقة والاحترام ظهرا على كل وجه فى جلاء وصفاء . بعضهم شد على يدى ، والبعض الآخر جذبني من ثيابي فى بشر وايناس وكأنهم كانوا فى عيد سعيد احتفالا بعودة صلة الصداقة القديمة بشخص محبوب

دخولى عليهم أوقفهم عن تناول الطعام ، وقد كانوا على وشك التهامه . فلما هدأ ما بنا عادوا الى المائدة وأرغموني على احتساء الخمر معهم ابتهاجا بمقدمى . وكانت الوجبة مكونة من صيد كثير الانواع ، والشراب من زجاجة واحدة مرت من يد الى أخرى بلا كلفة ولا تعب . وقد شعرت الجماعة كلها بأن الطعام والود أملاها بخمر الفرح ، وتنافس الجميع في اظهار أكبر قسط من السرور بى والمحبة لى

« أجلسوني بين امرأتين ، وكان هذا مكان الشرف من المائدة . ظننتني سأجد فيهما نفاية الجنس اللطيف وحثالته ، ولكن كم كانت دهشتي عظيمة حين وجدت ، وسط هذه الجماعة المخزية أجمل شخصين كان يمكن ان يقع عليهما بصري ! اما « مرغريت » أكبرهما سنا واجملهما وجها فكانت تطلق على نفسها كلمة آنسة ، ومن الجائز انها كانت فى الخامسة والعشرين من عمرها . وكانت تتكلم باستهتار بين ، وتأتى بحركات أشد من اقوالها تهتكا وفجورا . واما مارى فكانت متزوجة ، ولكنها فرت من زوجها لسوء معاملته . وكانت مصفرة اللون هزيلة الجسم ، وقسماتها اكثر دقة من صاحبتها ، ولكنها كانت اقل جاذبية من « مرغريت » الملتهبة الحسن . هاتان المرأتان اشتد بينهما التنافس فى استيقاد رغباتي ، « فرغريت » الجميلة واجهت خجلى وتغلبت عليه بالدعابة الجريئة ، ولكنها لم تبعث فى نفسي غير النفور والاشمئزاز ، و « ماري » المتواضعة غزت قلبي بسحرها وحيائها وملكت على كل مشاعرى حقا

وبعد قليل قال لى قائدي .

— انك ترى ياصاحب الشمس كيف نعيش فيما بيننا .. وثق يا أخى بأن أيامنا كلها شبيهة بيومنا هذا . أليس كذلك يارفاق؟

« فكررت الجماعة قوله فى هذه الجملة « الأيام كلها كهذا اليوم » . وعاد الرجل الى الحديث :
ـ ان كنت تستطيع أن تتعود طريقة حياتنا وتألفها ، فعايشنا وكن رئيسنا . انى أنا الرئيس الى الآن ، ولكننى اريد ان ازل لك عن هذا المنصب . اراضون انتم يارفاق ؟

« كلمة نعم الفرحة خرجت من كل الافواه جميعاً .. رأسى كان مشتعلا وعقلى لاهيا ذاهلا ، والخمر والرغبات جعلت دمى يغلى فى عروقى .. الناس اعرضوا عنى ونبذونى كمصاب بالطاعون وهنا وجدت الاستقبال الوفى والطعام الشهى والشرف الرضى . مهما يكن اختيارى ، فأن الموت كان ينتظرنى ويرنو إلى ، ولكننى هنا أستطعت على الأقل أن أبيع حياتى بثمن أعلى مما كنت أحصل عليه فى مكان آخر . اللذة الحسية كانت أشد اهوائى قوة واشتعالا ، والجنس النسوى لم يظهر نحوى الى ذلك الوقت الا الازدراء والنفور ، وهنا حظيت بعطف هذا الجنس ولذيذ سحره

« لم أتردد فى أتخاذ رأى حاسم لا يكلفنى الا قليلا ، فصحت قائلا بصوت يدل على العزم والاصرار « أنى باق معكم يارفاق . ثم كررت هذه الجملة وأنا أتقدم وسط الجماعة ، وأضفت اليها « باق معكم ذا تفضلتم ونزلتم لى عن جارتى الجميلة . فوافق الجميع على طلبى فى صوت واحد ، وأصبحت المالك العلنى لبغى ورئيس عصبة من اللصوص »

***

أضرب صفحا عن الجزء الباقى من اعترافات وولف لأنه بشع ليس فيه ما يهذب القارىء أو ينفعه . ومن الواضح أن البائس الذى يسقط الى هذا العمق ، لا بد أن يستبيح لنفسه حمل كل ما يغضب الأنسانية ، ولكنه لم يرتكب جريمة القتل مرة أخرى ، وقد اعلن ذلك صادقا عند استجوابه

امتدت شهرة هذا الرجل فى سرعة عجيبة وتناهت الى المقاطعة كلها ، وأصبحت الطرق الكبرى شديدة الخطر ، وأقلقت أهل المدن غارات ليلية عنيفة ، وغدا اسم صاحب الشمس عفريت الفلاحين والرعاة

، تعقبته عيون الحكومة ، وأعلن عن جائزة مالية مغرية تعطى لمن يأتى به حيا . ولكنه كان شديد الدهاء ماهرا فى إستنباط الوسائل التى تقيه شر الوقوع فى يد العدالة وتفسد كل تدبير يتخذ ضد حريته وحياته ، وكان سعيدا بعض السعادة بهذه الدعاية ذات الخطر . ومن هذه الوسائل التى لجأ اليها أنه أمر رفاقه أن ينشروا فى الناس خبرا مخيفا ، هو أن رئيسهم اتصل بالشيطان اتصالا وثيقا

ويستطيع فعل الشر والنحس السحرى متى وكيف شاء . وكانت الناحية التى يقوم فيها « وولف » بدوره غير خاضعة للبلاد الألمانية المستنيرة كما هى الآن . . . صدق الناس هذا الخبر وآمنوا به ، وبهذه الوسيلة هيأ « وولف » لنفسه أسباب الأمن والطمأنينة ، فلم يعد احد من أهل المقاطعة يشغل باله أو يطمع فى أيذاء هذا الجبار الخطر الذى يخضع الشيطان لأمره وسلطانه

ظل يزاول هذه المهنة المنكرة حولا كاملا ، ثم بدأ يتبرم بها ويسخط عليها ، لأن المنسر الذى تحت أمرته لم يحقق أحلامه وأمانيه . أمل خادع براق أعماه أول الامر وهو فى دور النشوة ولكنه بعد مرور عام ، أدرك فى خوف وفزع أنه كان مخدوعا ، فالجوع والبؤس حلا محل النعيم والرخاء الذين وعد بهما ، وفى أغلب الأحيان كان يضطر الى المخاطرة بحياته فى سبيل الحصول على وجبة تكاد تسد رمقه وترد عنه غائلة الموت صبرا «جوعا» ، ثم استحال الوئام والمحبة الى حسد وغيرة وريبة فى قلوب أفراد العصابة جميعا . وكانت الحكومة قد وعدت بأعطاء مكافأة مالية لمن يأتى به حيا واذا ماجاء به أحد شركائه ، نال الجائزة المالية وحظى بالعفو الشامل ، وهذا أغراء قوى يفتن هذه الحثالة من النوع الانسانى

عرف « وولف » الخطر المحدق به ، وأدرك أن الاعتماد على تعفف اللصوص الذين يخونون الله والناس ، ضمان واه محزن لحياته ، فلم يعد ينعم بالنوم واستحوذ عليه خوف من الموت مستمر حرمه الراحة والطمأنينة ، وشرع شبحه المرعب يتحرك ويعمل فى صوت أصم من حوله فى كل مكان يلجأ اليه ، يعذبه اذا سهر ويتسلل الى فراشه اذا رقد ويفزعه فى أحلامه اذا غفا . وفى الوقت نفسه ، تكلم ضميره بعد الصمت الطويل . واستيقظ فى هذه العاصفة الباطنية عقرب التبكيت من نومه العميق . فجعلت بغضه الشديد الذى كان يوجه الى الأنسانية . ينصب على نفسه فى قوة ووحشية ... عفا عن الطبيعة كلا . ولم يعد يجد أنسانا يمقته ويلعنه سوى شخصه اليائس

أكملت الرذيلة تعليم « وولف » . وانتظر فى النهاية ادراكه الطبيعى على وهم محزن . فأحس عمق الهوة التى فيها . وحل فى نفسه اكتئاب محل هياج اليأس وصحبه أسف على حياته الماضية المزرية وبكى من جرائمها بكاء أليما ، وعرف فى جلاء ويقين أن من الواجب عليه أن يبدأ حياة جديدة تمحو آثار الماضى الكريه ، وشعر فى دخيلته بأنه يستطيع أن يعد رجلا شريفا ، وأوحى اليه الامل فى هذا ، أن الوقت أمامه مازال فسيحا . ولعله كان . وهو فى أعلى درجة من سلم الفساد أكثر قربا من الخير مما كان قبل خطوته الأولى الخاطئة

فى ذلك الوقت قامت حرب الثلاثين السنة المعروفة . وكانت تعبئة الجنود على قدم وساق ، فلمح اليائس فى هذا الظرف شعاعا من الأمل ، وكتب الى أميره خطابا اذكر منه نبذة هنا :

« اذا كان عطفك الملكي لا يجد غضاضة في الالتفات الى شخصي الضئيل ، واذا كان هناك مجرمون مثلي ليسوا خارجين عن دائرة رحمتك ، فتفضل بسماعي ايها الملك العظيم : انى قاتل وسارق والعدالة تبحث عنى والقانون يحكم على بالموت ، وانى مستعد لأن أسلم نفسي طيعاً مختاراً ولكنى فى الوقت نفسه أضع عند قدمى عرشك رجاء غريبا . أني أمقت حياتي وأزدريها ، ولا أخاف الموت . ولكن يروعنى ويدمى قلبي أن أموت ولم أكن قد عشت . أريد أن أحيا لأصلح جزءا من الماضي . أريد أن أعيش لأستحق العفو من الجماعة الانسانية التى أصبتها بكثير من الضر والاذي . وليعلم مولاي أن تعذيبي سيكون مثلا وعبرة للعالم ، ولكنه لن يكون عوضاً من جرائمي . انى أكره الشر وأطمح فى الشرف والفضيلة : لقد أقمت الدليل على مواهبي حين شئت وشاءت الاقدار أن أكون سيفاً رهيباً مسلطا على وطنى والآن أرجو أن يكون قد بقي لى من المواهب ما أنفع به هذا الوطن العزيز . أعرف أنى أطلب شيئاً لم يسمع بمثله أحد ، وأن حياتي لم تعد لى . وانى لا أملك حق مفاوضة العدالة . ولكنى لا أريد أن أظهر أمامك مقيدا موثقا . انى لم أزل حرا . والخوف هو العاطفة التى تشغل أصغر وأضعف جزء من رجائى

« انى أطلب وأرجو العفو . أما حقوقى فى العدل . فمهما يكن الامر خاصا بى . فلا أجرؤ على المطالبة بها . ومع ذلك فليسمح لى أن اذكر قاضى بأمر ذي بال : جرائمى يبدأ تاريخها من يوم صدور الحكم الاول الذي حرمني شرفى الى الابد . ولو انى عوملت فى ذلك الوقت بقسوة أقل من التى عوملت بها لما كنت اليوم فى حاجة الى العفو

« أصدر العفو بدلا من اقامة العدل يأميرى ! واذا كان فى وسع سلطانك الملكى أن يلين القانون من أجلى . فقدم لى هبة الحياة . هذه الحياة . منذ اللحظة . ستكون خالصة فى خدمتك فأن شئت أجابة طلبى هذا ، فاجعلنى أعرف أراداتك السمحة بوساطة الصحف . وانى اعتمادا على أقوالك الملكية وثقة بها سأقدم الى أولى الامر فى الحاضرة . أما ان أردت لى غير هذا المصير اذن فلتعمل العدالة واجبها . وسأقوم من جهتى بما يمليه على واجبى »

ظل هذا الخطاب بلا جواب . وكذلك آخر تم ثالث طلب فيه « وولف » أن يقبل جنديا فى فرقة الفرسان . فخاب أمله فى العفو خيبة تامة . واضطر الى الهرب من البلاد ليعمل فى جيش ملك بروسيا وليموت فى ساحة الوغى جنديا باسلا

أفلت من عصبة اللصوص من حسن حظه . بمهارة فائقة وبدأ رحلته . فاتخذ طريقه الى مدينة بروسية صغيرة عزم على تمضيته الليل فيها . وقبل ذلك بقليل نشر فى أنحاء البلاد أمر شديد يحتم فحص أوراق المسافرين فحصا دقيقا تستوجبه حالة الحرب القائمة . ولما بلغ « وولف » باب المدينة

راكبا جواده . وجد حارسه جالسا على مقعد أمام الحاجز ، وكان قد تسلم الأمر المذكور كغيره من الموظفين

كانت ملابس « وولف » تبعث على الضحك . ولـكنها فى الوقت نفسه تكسبه شكلا وحشيا يلهم الفزع . وكان جواده الهزيل وقطع ذنبه المضحكة التى تدل على تاريخ شرائها أكثر مما تدل على ذوقه . تناقض بطريقة عجيبة ولـكنها مقبولة مع وجهه الذي يبدو عليه جليا كثير من الأهواء العنيفة كجثث مشوهة فى ميدان القتال

ملك الدهش الشديد الحارس عند رؤية هذا المسافر العجيب . وكان هذا الرجل قد سلخ فى حراسة الباب أربعين عاما من عمره جعلت منه رجل فراسة لا يخطىء فى معرفة الافاكين جميعا وكذلك نظرته النافذة لم تخطىء الرأى فى الرجل الذي أمامها ، فاغلق باب المدينة فى الحال وسأل الفارس عن أجازة السفر وهو ممسك بعنان الجواد

وكان « وولف » مستعدا لمثل هذه المفاجأة ، فقد انقض قبل ذلك بزمن قليل على تاجر وسرق منه أجازة السفر وما يحمل من مال ومتاع . ولـكن هذه الوثيقة لم تكف فى اقناع رجل هذبته التجربة مدى اربعين عاما . فصدق الحارس عينيه اكثر مما صدق هذه الورقة . واضطر « وولف » الى الذهاب معه الى المحكمة

فحص قاضى الناحية الوثيقة وأعلن انها صحيحة . وكان هذا القاضى يتعشق الانباء ويحب على الاخص أن يتكلم عن حوادث اليوم وأمامه زجاجة من الخمر . وقد دلته أجازة السفر التى فحصها على أن حاملها آت مباشرة من بلد عدو فيه ميدان القتال . فدفعه الامل فى استخلاص أخبار خاصة عن هذا الغريب الى أن يرسل اليه مستسرة « سكرتيره » مع الوثيقة ليدعوه الى شرب زجاجة من النبيذ معه

وكان « وولف » واقفا أمام دار المحكمة وهو راكب جواده فى أثناء فحص اجازة سفره . وقد جمع شكله المضحك من حوله اهل المدينة الصغيرة أفرادا وجماعات . وكانوا يتكلمون همسا فيما بينهم ويشيرون خلسة الى الجواد تارة والى راكبه تارة أخرى . ولم يلبث ابتهاج الناس الساخر أن انقلب الى صخب شديد . ومن سوء حظ « وولف » ان جواده الذي يشيرون اليه بأصابعهم كان مسروقا فخيل اليه أن صاحبه شكا أمره الى ولى الامر وأذيع وصفه فى الصحف ، فعرفته الجماعات التى احاطت به من كل جانب . ثم جاء أدب القاضى ودعوته غير المنتظرة ضغثا على ابالة . فقوى شك « وولف » واعتقد بأن تزويره اجازة السفر قد كشف عن نفسه . وان هذه الدعوة ليست الا شركا للقبض عليه وبلا مقاومة . وهذه الريبة بنفسه دفعته الى ارتكاب عمل نزق وطيش . ضرب جواده بالكلاليب

«المهماز» وأطلق له العنان من غير ان يجيب بكلمة على دعوة القاضى

هذا الهرب المباغت أنتج هياجا عاما . واندفع الناس وراءه وهم يصيحون « الافاق المجرم! » ولكنهم كانوا يتعقبونه رجالا «على أقدامهم» وهو يعدو بجواده ويعلم أن حياته أو مماته رهن بما يبذل من جهد ، فسبقهم بمسافةطويلة وكاد ينجو بنفسه. ولكن يدا خفية ثقلت عليه . ودقت ساعة وقوعه فى يد العدالة . وقبضت تمسيس الالهة الانتقام التى لاترحم على عنق مدينها . فسلك طريقا ضيقة مغلقة عند نهايتها ، وأرغم أن يعود أدراجه مواجهاأعداءه الذين يتعقبونه

استوقد دوى هذا الحادث حماسة أهل المدينة . فازدادت الجماعات وامتلأت الطرق بجيش من الاعداء الثائرين « بوولف » فلم يجد بدا من ان يظهر غدارته دفاعا عن نفسه وليشق له طريقابالقوة بين الجماهير المحتشدة . تراجع الناس عند رؤية السلاح . وصاح فيهم « وولف »قائلا: «هذه الرصاصةمن نصيب الغبي الابله الذى يجرؤ على القبض على أو الوقوف فى سبيلى ! » فمرت بالناس لحظات خوف وفزع ، ثم انقض عليه من الخلف صانع اقفال وامسك بذراعه ومنعه عن اطلاق الرصاص ، وظل يضغط عليه حتى سقطت الغدارة من يده واصبح عاجزا عن الدفاع فهجم عليه الشعب واقتلعه من مكانه اقتلاعا ثم اقتاده فى عنف وغلظة الى دار المحكمة مهللا فى نشوة الانتصار

سأله القاضى فى لهجة حادة خشنة :

— من أنت ؟

— رجل اعتزم ألا يجيب عن أي سؤال ما دام لا يخاطب فى أدب أ كثر من هذا !

— كما قلت

— لقد جبت المانيا كلها . ولم اجد مكانا تنتشر فيه القحة ا كثر من انتشارها هنا

— فرارك المباغت يبعث على الشك فيك لماذا هربت

— لأنى ضقت ذرعا بسخرية اهل بلدك

— اتنكر انك هددت باطلاق النار ؟

— غدارتى لم تكن محشوة

وفى الحق لخصت غدارته فلم يكن بها رصاص

— لماذا تحمل سلاحا مخبأ فى ثيابك ؟

— لأنى أحمل معى أشياء قيمة ثمينة . وأنذرت أن أحذر صاحب الشمس المخيف الذى يجول فى هذه الارباض

— أجابتك تبرهن على جرأتك فى فصاحة . ولكنها لا تقيم أى دليل على براءتك . انى امهلك الى الغد لتكشف لى عن الحقيقة

— أنى مصر على ماقلت

وهنا قال القاضي للجند « أذهبوا به الى السجن » فقال « وولف » :

— الى السجن ؟! سيدى القاضي . كنت أرجو أن أجد العدل في هذه البلاد .. سأطلب ترضية

— سأعطيك اياها حين تثبت براءتك

وفى صباح اليوم التالى قال القاضي لنفسه « من الجائز أن يكون هذا الغريب بريئا . واعتقد أن اللهجة الفظة المسيطرة لن تنال شيئا من عناده . ويجمل بى أن أعامله فى رفق وأدب » .

ثم جمع المحلفين واستدعى السجين وقال له

— ابسط ياسيدى جناح عفوك على لهجة ألهمنى الغضب اياها . ان كنت قد رأيت منى بالامس بعض الخشونة

— بكل سرور ما دمت تأخذني بهذا اللين والادب

— قوانيننا شديدة صارمة . وحادثتك أثارت ضجة كبرى . وليس فى استطاعتى أن أرد عليك الحرية من دون أن أخل بواجبي . ظاهر الامر كله ضدك . وأتمنى ان تقول شيئا يد حضه ويمحو أثره

— واذا لم يكن عندى ما اقول ؟

ـ اذن يجب على ان اخطر الحكومة بما حدث ، وستبقى طوال هذه المدة فى مكان امين

ـ وبعد ذلك ؟

ـ بعد ذلك يجوز ان يكون نصيبك الضرب بالسوط والطرد من البلاد . او العمل فى الجندية اذا استعملت معك الرحمة

صمت « وولف » وظهر على وجهه انه يعانى فى دخيلته صراعا عنيفا . ثم اتجه الى القاضي وقال فى حماسة « هل استطيع ان اخلو بك ربع ساعة ؟ » . فنظر المحلفون بعضهم الى بعض نظرة خوف وريبة . ولكنهم ابتعدوا طوعا لأشارة حاسمة من رئيسهم الأعلى

فقال القاضي بعد خروج المحلفين :

ـ الآن ماذا تريد ؟

ـ طريقتك بالامس ياسيدى القاضي لم يكن من شأنها ان تدفعنى الى الاعتراف لأنى ابغض العنف واقابله بالعناد الشديد . اما الرفق الذى تعاملنى به اليوم فقد بعث فى نفسى احترامك والثقة بك ... اعتقد بأن لك قلبا نبيلا

ـ ماذا تريد ان تقول ؟

ـ ارى لك قلبا نبيلا . كثيرا ما تمنيت أن اقابل رجلا مثلك منذ زمن طويل ! اسمح لى ان المس يدك اليمنى

ـ ما معنى هذه الاقوال ؟

ـ راسك المبجل علاه المشيب . وقد عشت اعواما طوالا . وتألمت كثيرا من غير شك . اليس كذلك والألم صفاك وجعل قلبك رقيقا رحيما

ـ سيدى .. ما مغزى كل هذا !

ـ انت الآن على قيد خطوة من الخلود . وستكون بعد قليل فى حاجة الى رحمة الله : ولن يغضبك اعتقادى بأن لا تضن برحمتك على الناس... الا تدرك شيئا حدسا وتخمينا ؟ مع من تظنك تتكلم ؟

ـ ما هذا ؟ انك تفزعنى !

ـ الم تفهم بعد ؟ .. اكتب الى اميرك كيف وضعت يدك على . قل له انى قدمت نفسى بملء رغبتى واختيارى . وان الله سيكون رفيقا به فى الآخرة . كما يكون هو نفسه رفيقا بى اليوم صل من اجلى أيها الشيخ . ودع دمعة تقطر على رسالتك الى مولاك ... انى انا صاحب الشمس

الثقافة التناسلية وبعض روادها

بقلم الدكتور صبرى جرجس

نعنى بكلمة « الثقافة التناسلية » كل دراسة جدية لاى فرع من فروع الحياة التناسلية فى الانسان . وهى على هذا الاساس تشمل دراسة التناسليات من الناحية الانثروبولوجية (اى فى مختلف الاقوام البشرية) والطبيعية والسيكولوجية . كما تشمل دراستها فى علاقاتها بمختلف نواحى النشاط الاجتماعى كالنواحى الاقتصادية والتشريعية والفنية وغيرها

والتناسليات على هذا الاعتبار علم واسع متشعب الاطراف . او هى مجموعة من العلوم المختلفة المتباينة المناحى تجتمع كلها عند محور واحد هو غريزة الجنس او غريزة حفظ النوع . ويختلف المظهر الذى تتخذه هذه الغريزة اختلافا كبيراً فى مختلف انواع المملكة الحيوانية ، فبينما هى لا تكاد تتعدى الفعل الجنسى المجرد فى بعض الحيوانات الدنيا اذ تأخذ فى التعقيد تدريجيا كلما ارتقينا صعوداً فى سلم التطور الحيوانى حتى تبلغ غايتها من التعقيد الانسانى ، اذ لا تكاد تنفصل فيه عن اى مظهر من مظاهر نشاطه الاجتماعى

والثقافة التناسلية أمر قديم العهد . غير انها لسوء الحظ بقيت خاضعة طوال السنين والاجيال لاهواء رجال الدين . وهذا هو السبب الاهم فى ان دراسة التناسليات كعلم ظلت جامدة حتى قبيل انتصاف القرن التاسع عشر . وهو ايضا السبب فى ان العرف التناسلى ظل مقيدا الى ذلك العهد بالعرف الدينى الاخلاقى . فلم يكن فى وسع الانسان يومئذ ان يخرج فى سلوكه التناسلى عن الحدود الضيقة التى يرسمها العرف الدينى التابع له دون ان يتعرض لالوان مختلفة من الافكار وقد ينتهى به الامر الى اتهامه بالكفر والالحاد

غير ان الانسان بعد تلك النهضة التى شملت مختلف نواحى تفكيره ادرك ان اخضاع ادابه التناسلية للعرف الدينى أمر يعود عليه بالضرر فى كثير من الاحيان ولا يجنى فوائده غير رجال الدين . كما ادرك ان العرف الاخلاقى لا ينبغى أن يكون نصوصا جامدة تعصى على التغيير والتبديل وانما هو مجموعة فى القواعد العامة التى يجب ان تتكيف مع الحالة الاقتصادية والاجتماعية والحياة الانسانية والتى يجب ان تخضع على الدوام لمقتضيات «المصلحة العامة» ومن ثم بدأ يدرس حياته التناسلية فى غير الحدود الضيقة التى لم يكن العرف الدينى السائد اذ ذاك يسمح له ان يتجاوزها

بدأ يدرسها بروح الحرية والصراحة والرغبة الصادقة فى استكناه حقائقها والوصول الى اغوارها . تلك الروح التى تميز البحث العلمى فى مختلف نواحى التفكير البشرى وفى مختلف الوان النشاط الاجتماعى

من هذا العهد تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ الثقافة التناسلية : مرحلة استبعد منها رجال الدين لانهم اقل الناس اهلية وكفاءة للمساهمة فيها ، واشترك فيها العلماء فى مختلف العلوم التى تتصل من قريب أو بعيد بحياة الأنسان التناسلية . أشترك فيها علماء الانثروبولوجيا الذين جابوا الامصار واقتحموا المجاهل وتعرضوا لمختلف المخاطر ليدرسوا عن كثب عادات كثير من الاقوام البدائية والهمجية التى لم نكن نعرفها من قبل أو لم نكن نعرف عنها غير اسمائها ، فاستطاعوا بذلك أن يردوا كثيراً من الظواهر التى كنا نعزوها — قياساً الى عرفنا الادبى — الى الانحلال الخلقى فى تلك الاقوام الى اسبابها الصحيحة

وأشترك فيها الاطباء فى مختلف فروع الطب . فتقدم اطباء التشريح والفسيولوجيا بمباحث جديدة عن تركيب الاعضاء التناسلية ووظائفها واصبحنا نعرف الان عن الهرمونات الجنسية وأثرها فى كيان الفرد وفى تكييف مزاجه وميوله بل وسلوكه الادبى ماكنا نجهله من قبل . والى جانب هؤلاء تقدم اطباء الامراض العصبية والعقلية بملاحظات ودراسات متشعبة عن العاطفة الجنسية فى حالتها الطبيعية وفى أحوال شذوذها وانحرافها ، وبذلك أصبحنا نعرف ان كثيرا من أنواع الزيغ فى تصرفات بعض الناس وفى اعمالهم انما يرجع الى انحراف مرضى يصيب عاطفتهم الجنسية وانهم لذلك اجدر بالعطف والرعاية والمعالجة منهم بالاضطهاد والبطش والاذى . وكان ينبغي أن يكون المجتمع فى موقفه من اولئك الناس ادنى الى الانصاف والعطف منه الان لولا ان تلك العصور الطوال من الجهل والنفاق الاجتماعي التى ظلت فيها ادابه التناسلية خاضعة لما يسمى العرف الادبى الدينى قد طبعته بطابع ليس من السهل عليه أن يتخلص منه فى وقت قصير

وفى هذه الدراسة ايضا اشترك علم النفس . ذلك العلم الناشىء الحديث ، بل انه وجد فى الحياة التناسلية للانسان ميدانا واسعا لنشاطه وابحاثه وتجاربه . ومن هنا رأينا من العلماء من يعزو نشاط الانسان الى مختلف نواحى الحياة الى اثر العاطفة الجنسية عليه ، ورأينا من يرجع كثيرا من الاضطرابات العصبية والنفسية الى اختلال يصيب هذه العاطفة من جراء القمع الكثير أو الافراط الكثير . ويضيق بنا الحديث لو اننا حاولنا أن نحصى هنا كل انواع العلاقة بين الحياة التناسلية فى الانسان والسيكولوجية الحديثة

ولم يقصر علماء الاجتماع والاقتصاد فى القيام بنصيبهم من هذه الدراسة الواسعة المدي المتشعبة الاطراف . ومن هذه الدراسة نستطيع أن نقتفى اثر كل التطورات التى مر علها نظام من أقدم النظم فى حياة الانسان الاجتماعية : هو نظام الزواج والاسرة ، كما نستطيع ان نعرف منها دلالة الانواع المختلفة للزواج فى مختلف الجماعات الانسانية واثر البيئة والاحوال الاقتصادية وغيرها من العوامل فى تكييفه . ومن هذه الدراسة ايضا استطعنا ان نفهم على حقيقته نظاماً اخر لا يقل من حيث تأصله فى الانسان او اثره عليه نظام الزواج . ذلك هو البغاء . فاصبحنا نعرف الان أن العامل الاول والاهم في وجود البغاء هو العامل الاقتصادى لا العامل الاخلاقى الادبى كما كانت حالة الجهل القديم تصور لنا ، أو بعبارة أخري تلك الاوضاع الاجتماعية التى تستغل شهوة الرجل وحاجة المرأة فى الجمع بينهما فى علاقة تناسلية قد تقصر حتى لا تتعدى الزمن الذي تستغرقه العملية الجنسية وقد تطول الى بضعة أشهر او سنوات . كما أصبحنا نعرف ان البغى هى قبل كل شيء وحدة اقتصادية وأن كانت البضاعة التى تتجر بها هى « كرامتها الانسانية » ، فاذا كان هناك خطأ أو انحراف فى عمل البغى فيجب ان نرجعه اولا الى المجتمع الذى يضطرها بدافع الفاقة والحاجة الى امتهان هذا العمل لكي تعيش

والي جانب كل اولئك لا ننسى القسط الذى ساهم به الادب فى الثقافة الجنسيه . ولسنا هنا فى معرض الحصر . ولكننا نذكر على سبيل المثال قصص موباسان التى تصور كثيرا من دقائق الاحساس الجنسى او من انواع الانحراف فيه أروع تمثيل . كما لا ننسى قصص غيره من الكتاب التى تصف كثيرا من الوان الفساد الاجتماعى فيما يتعلق بالحياة التناسلية . سواء اكان هذا الفساد ناتجا من الجهل والتكتم والنفاق ام من الاباحية والافراط والاستهتار

* * *

فى كل فرع من فروع هذه الدراسة المتشعبة النواحي والاطراف اشتركت عشرات الاسماء وعملت بجهد مثابر مخلص لكي تحرر الانسانية من نتائج تحالف الجهل والرياء والاستغلال السيء عليها فى خلال مئات السنين . فاستطعنا أن نكشف فى وقت قصير حقائق ماكان اخفاها عنا واستطعنا أن نعرف الشيء الكثير عن هذه الناحية الهامة من حياتنا : ناحية الحياة التناسلية ، بكل مافيها من جمال أو قبح ومن صحة او مرض ومن اعتدال او فساد . فلم يعد احساسنا بنواحي الجمال واللذة فيها حافزاً لنا على التحامل على نواحى الضعف والانحراف كما كان الحال من قبل ، بل انه جعلنا أصدق نظرا وارحب صدرا لما يعرض أمامنا من المقطات والمآسي عند الغير . وأصبح باعثا لنا على التفكير — لا فى أنواع العقوبة والتشهير — بل فى وسائل المعالجة والاصلاح تفكيرا مقترناً

بروح العطف والانصاف مع التروع دائماً الى تحقيق المصلحة الانسانية العامة

ان لكل اسم من تلك الاسماء نصيبا من الفضل فيما وصلنا وسنصل اليه عن طريق هذه الدراسة الجدية للثقافة التناسلية . ولكن هناك بضعة اسماء تبرز على الفور اذا ذكرنا هذه الناحية من نواحي النشاط الانساني

فكل دارس لتاريخ العلاقات التناسلية فى الانسان لا بدان يعرف شيئاً عن هذه الموسوعة الهائلة التى كتبها بلوس وبارتلز عن « المرأة » : المرأة فى مختلف عصورها الى حيث يستطيع التاريخ أن يصل اليها ، وفى مختلف الأقوام والاجناس البشرية ، وتحت مختلف الحضارات والاديان . المرأة فى مختلف اطوار حياتها وتحت مختلف الاوضاع والطقوس الاجتماعية : كجنين ووليد وطفلة ويافعة وشابة وزوجة وأم . المرأة فى تركيبها الجسدى وفى مقامها الاجتماعى وفى كل ما يتناول حياتها منذ بدء ولادتها حتى لحظة مماتها .. بل وحتى بعد الموت

ان المرء ليقرأ هذا الكتاب فيدرك على الفور أى جهد يمكن أن يستغرقه هذا العمل وأى نية مخلصة صادقة يتطلبها البحث عن الحقيقة فى ارجاء الدنيا المترامية الاطراف ومن خلال عصور الجهل والظلام والنفاق

كما لا يجهل أحد من المشتغلين بامر الثقافة التناسلية وبدراسة انواع الخلل والاضطراب الذى يصيب العاطفة الجنسية اسم « كرافت ايبنج » فقد شغل صاحبه منصب استاذ الامراض العصبية والعقلية بجامعة فينا ردحا طويلا من الزمن ودوى اسمه فى جميع انحاء العالم حين نشر كتابه العظيم « الامراض التناسلية النفسية » فاقبل جمهور الناس من مختلف الطبقات المثقفة عليه يقرؤنه فيشمئزون اولا ثم يعجبون ثم لا يلبث هذا الشعور ان يستحيل فى نفوسهم الى نوع من العطف الهادىء على ذلك الفريق التعس من الناس الذين يدفعهم اختلال غرائزهم الجنسية الى ممارسة الوان من الشذوذ تأباها الوف الاديان وتنكرها التقاليد الخلقية ، وقد يسوقهم الى ارتكاب ما يعد فى نظر المجتمع من الجرائم الخطيرة . فلا يسع القارىء وقد فرغ من هذا الكتاب الا أن يوافق المؤلف وهو يقول « وقد يجد الطبيب فى بعض الاحيان نوعا من العزاء اذا استطاع أن يعزو بعض هذه المظاهر التى تسىء الى مبادىء الادب والاحساس المتعارف عليها بيننا الى وجود حالة مرضية فى العقل أو الجسم . وهو فى هذه الاحوال يستطيع ان ينقذ شرف الانسانية امام الاخلاق وشرف الشخص ذاته امام قضاته وأمام الناس . ولعل هذا البحث عن الحقيقة هو أشد ما يعمل على تمجيد علم الطب فى حقوقه وواجباته»

وقد ظهر كتاب كرافت ايبنج فى أشد الاوقات حاجة اليه . فان التناسليات كانت حتى ذلك

الحين علما ناشئا لايزال يدرج فى خطواته الاولى وكانت هذه الناحية منها — الناحية الطبية المرضية لا تزال كالمجاهل لم يطرقها باحث أو مكتشف بعد، وكان الرأى العام عنها أبعد ما يكون عن التقدير الحقيقي لها وأشد ما يكون من التحامل عليها … فجاء كرافت ايبنج يعرض ثمرة تجاريبه الطوال فى صراحة ودقة يعجب لها المرء . وعلى الرغم من الشهرة الداوية التى كان الرجل يتمتع بهـا ومن الانتشار الواسع الذى ظفر به كتابه فانه لم ينس قط أن هذا الكتاب ليس الا مجموعة من الملاحظات والمشاهدات والتجارب الشخصية العميقة . فخفظ الكتاب بهذا الاعتبار صبغته المشوقة الى نفوس القراء وأمد غيره من الأطباء والباحثين بزاد كبير من الحالات المرضية التى يستطيعون الرجوع اليها للاستشهاد أو التمثيل بها فى مختلف أنواع الخلل أو الانحراف الذى يصيب العاطفة الجنسية

وليس أدل على التقدير العظيم الذى احرزه كتاب كرافت ايبنج من أنه لا يزال حتى الآن — وبعد مضى أكثر من خمسين سنة على ظهور طبعته الاولي — من أهم المراجع للاطبـاء والباحثين فى الأمراض التناسلية النفسية . بل لا يزال التقسيم الذى وضعه المؤلف لهذه الامراض — باستثناء تعديلات طفيفة ادخلت عليه فيما بعد — هو المتبع فيها . وحسبه من الفخر على أى حال أنه من أوائل المساهمين فى نهضة علم التناسليات

ثم لا يسع الباحث فى تاريخ الثقافة التناسلية الان يذكر بالتقدير والاحترام اسما من أنبل الاسماء التى سطعت فى هذه الدراسة ولصاحبه أعمق الآثر فى توجيهها والسمو بها ، ذلك هو اسم هافلوك اليس . وفضل هذا الشيخ الطاعن فى السن الذى أشرف الآن على الخامسة والثمانين من عمره لا يقتصر على ما قدمه الى العالم من الباحث والاقتحامات فى ميدان الحياة التناسلية بل يتعداه الى القدرة الشخصية الرائعة التى ضربها لكل من يريد أن يتصدى لبحث المشكلات الكبرى فى الحياة الانسانية بروح النزاهة والانصاف دون التقيد بالقيود الضيقة التى يفرضها العرف الادبى فى بعض الاحيان، ودون تملق أو مجاملة ما تواضع الناس عليه من الاهواء والتقاليد

وحياة ها فلوك اليس فى هذه الناحية هى فى ذاتها عبرة جميلة . فقد واجهته فى مستهل شبابه — كما تواجه غيره من الشبان — مشاكل الجنس فعقد العزم على أن يجعل حل هذه المشاكل الغاية من حياته . وفى سبيل تحقيق هذه الغاية يعمل فى مثابرة وجهد وسكون مدة تزيد على العشرين عاماً . يبحث وينقب ويقرأ ويدون الملاحظات ويجمع البيانات حتى اذا اجتمعت له فى نهايتها مادة كتابه العظيم « دراسات فى سيكولوجية الجنس » بدأ ينشره على الناس . وهنا واجهته المشكلة التى ما فتئت تعترض دعاة الاصلاح فى كل ناحية من نواحى الحياة فارتفعت فى وجهه مختلف الصيحات وثار عليه ذلك الحلف الدائم من الجهل والهوى والنفاق ، ووجد الرجل نفسه بعد قليل

يقدم للمحاكمة بدعوي الخروج على الاداب العامة ومنع كتابه من الطبع والتداول فى انجلترا فهل ران اليأس على قلبه أو عزيمته ؟ كلا .. بل ولى وجهته شطر أمريكا حيث الدنيا أرحب صدراً وحيث يستطيع منه أن يجد ميداناً لنشاطه ومتنفساً لاماله . وما أن ظهر كتابه حتى استقبلته الدنيا باحتفاء عظيم وتسابقت الأمم الى نقله الى لغاتها . بل لقد بلغ الامر باحداها — المانيا — ان نقلت بعض كتبه الى الالمانية قبل أن يظهر الاصل الانجليزى

ومن ثم بدأ اسم هافلوك اليس يتألق فى سماء الانسانية كعالم من اولئك العلماء الافذاذ الذين كرسوا جهودهم وحياتهم للبحث عن حقائق الحياة الكبرى . وسماه البعض أكبر رجل متمدين فى اوربا . ومضى الرجل أربعين سنة اخرى يعيد طبع كتبه وينقحها ويضيف اليها ويساهم فى تحرير كبريات الجرائد والمجلات الخاصة بالصحة الجنسية والاجتماعية ، واخذت العاصفة الاولى التى ثارت عليه فى وطنه تهدأ وتزول ، وتحولت نظرة الناس من التحامل عليه الى التقدير له حتى لم يسع الجمعية الملكية للاطباء فى انجلترا الا أن تظهر تكريمها له باقصى ما تستطيع من علامات التكريم فمنحته درجة زمالتها الفخرية فى العام الماضى

وفى خلال هذه المدة الطويلة التى نيفت على نصف قرن كان ذهن هافلوك اليس يعمل بنشاط عجيب . فعلاوة على كتابه « دراسات فى سيكولوجية الجنس » الذي ظهر فى سبعة أجزاء والذى يعد بحق من الموسوعات الكبري فى حياة الانسان التناسلية ظهرت له عدة كتب أخري نذكر منها « الروح الجديدة » ، « دراسه العبقرية البريطانية » ، « الرجل والمرأة » ، « عالم الاحلام » « مهمة الصحة الاجتماعية » ، « رقصة الحياة » ، « مقالات عن الفضيلة والاخلاق » ، « اعترافاتى » ، « من روسو الى بروست » . هذا غير ما اشترك فيه من تحرير المجلات وابداء الرأى فى كل المسائل والنظريات الخاصة بالصحة الجنسية والاجتماعية

وتمتاز كتب هافلوك اليس بامرين قل ان يجتمعا معا فى كتاب واحد : أولهما الاخلاص . فما من قارىء للرجل الا ويشعر بانه فى جمعه للحقائق وفى طريقة عرضها ومواجهتها مخلص أشد الاخلاص مخلص للعالم الذى يكشفه وللحقيقة التى يسعي اليها ، ولعل هذا الشعور من ناحية القارىء هو الذى يزيد من تعلقه بالكاتب ويوثق من عرى المودة والاحترام له سواء اكان من موافقيه أم من معارضيه . والثانى روعة الاسلوب فان الرجل قد جمع الى الدقة التى يتطلبها البحث العلمى جمال الاسلوب الادبى . وقد يمضى المرء فى قراءة كتبه الساعات فما يشعر برغم دقتها واسهابها بل وجفافها

فى بعض الاحيان بالملل يتسرب الى نفسه . ولعل هـذا ما أعطى كتبه الصبغة الشعبية وان كانت محدودة بطبيعة الحال وبنوع الدراسة التى تتناولها فى طبقة الخاصة من المثقفين

وهناك ظاهرة أخرى تلاحظ على هافلوك اليس فى كتاب « دراسات فى سيكولوجية الجنس » بصفة خاصة . تلك هى انه يتبع فى ذلك الكتاب الطريقة الموضوعية دون ان يحاول ابداء رأيه الذاتى او فرضه على القارىء . فهوفى بحثه لمختلف المشاكل والظواهر التى تزخر بها الحياة التناسلية فى الانسان يجمع البيانات والاحصاءات فى مختلف نواحى الموضوع ويقدمها كما هى : صريحة واضحة لا تستتر فيها ولا مجاملة ولا غموض . وقد تكون هـذه الطريقة اجدى واقرب الى النفع فى ميدان بكر لم تكشف مجاهله بحوث العلماء بعد

ويمتاز هافلوك اليس بانه رجل ينظر الى الحياة ومشاكلها نظرة مستقيمة لا عوج فيها ولا التواء فقد دفعه الى هذا البحث المضنى الذي استغرق منه جهد العمر كله اعتقاده بان الجنس يكمن فى أساس الحياة واننا لن نستطيع ن نعرف كيف نحترم الحياة حتى ندرك كيف نفهم الجنس ، كما أنه يرى أن مشكلة الجنس قرينة لمشكلة الدين التى بدأت تواجه الانسانية منذ حوالى ثلاثمائة عام وقد استقرت هـذه المشكلة الاخيرة الى الحل أو كادت فاصبح من واجبنا ومن واجب الاجيال القادمة العمل للوصول الى حل ملائم لهذه المشكلة ايضا

***

ثم لا ننسى أن نذكر اسم اوجست فوريل كواحد من اولئك الرواد الذين جابوا فى شجاعة ودراية واخلاص ميدان الثقافة التناسلية فابلوا فيها أحسن البلاء . وكتابه « المسألة الجنسية » برغم ما فيه من المآخذ يعد خطوة من أكثر الخطوات توفيقا فى موضوعه . فانه استعراض بديع للمسائل الجنسية فى مختلف نواحيها : العلمية والنفسية والصحية والاجتماعية . لم يعتمد المؤلف — مع استبعاد مواضع قليلة — فى بحثها على غيره . وانما ترك لتجاربه الواسعة وعواطفه الغيرية ان تتكلم . وقد لا يسع القارىء أن يوافق المؤلف على كل الاراء والنظريات واوجه الحل والعلاج التى يذكرها ولكنه لا يستطيع ان ينكر اخلاصه العميق لمبادئه وحبه الشامل للمصلحة الانسانية العامة : ذلك الحب الذي يتمثل فى الشعار الذى وضعه «أحبب الانسانية أكثر مما تحب نفسك واطلب سعادتك فى العمل لخيرها مستقبلا » . وهو فى عرض ارائه لا يتقيد بالعرف الادبى أو الدينى الذي تخضع له الاغلبية من عامة الناس دون ترو أو مناقشة . وانما يتخيل لنفسه عرفاً اجتماعياً يراه المثل الاعلى للانسانية فى حاضرها ومستقبلها . ولا يكاد ينسى هذا العرف فى أي كلمة

يكتبها او رأى يبسطه او اقتراح يتقدم به. ومن ثم فان آراءه عن بعض الموضوعات التي لا يكاد العرف السائد يسمح بمناقشتها كالزنا والشذوذ الجنسي وغيرها قد تبدو نابية للقارىء السطحي. ولكنه يراها عند التأمل متفقة مع دعوته الى الاصلاح ومتماسكة مع كل مبادئه القويمة الاخرى

وهو لا يؤمن كثيرا بأثر التشريع في رفع المستوى الاخلاقي ويقول في ذلك «نحن لا نستطيع ان نعد اى تشريع يوضع او اي وسيلة تتخذ بفرض تنظيم الاتصال الجنسي في الاسرة الانسانية الا عملا محقق الفشل ومؤذيا للجنس البشرى. فان سن القوانين لم يكن قط وسيلة من وسائل الرقى بالاخلاق في اي شعب من الشعوب ولكنه كان سببا في انتشار الرياء وغيره من الوان التحايل الخفي. وخير من ذلك بكثير ان نعمل على تنوير الجمهور في مسائل الوراثة التناسلية والانحطاط الجنسي فان العلم بهذه الامور لا يمكن ان يهدم الاخلاق ولا يمكن ان يؤذي الفضيلة

وتكاد الناحية الاجتماعية من الكتاب تكون حربا منصبة على الآفات التي يعدها من عوامل فساد الحضارة وانحلال المجتمع. وهو يريدها حرب استئصال وافناء لانه لا سبيل بغير ذلك الى تحقيق السعادة الانسانية. فمن هذا اننا لا نكاد نراه يدع مناسبة تمر دون ان يهاجم بغير هوادة سيادة المال وما يتبع ذلك من استغلال الاغنياء للفقراء وانتشار البغاء وزواج المادة الذى يسود الان والذى يطلق عليه اسم «البغاء العصري». وهو يحمل على الخمر اقسى الحملات ويعدها الاساس في انحلال حضارتنا والسبب في كثير من انواع الزيغ والفساد في حياتنا التناسلية. بل انه يتطرف ويغلو فيقدم نظرية «فساد النطفة» الذي ينتج من التسمم بالخمر ويعد هذه الحالة مسئولة عن عدد كبير من حالات الجنون والضعف العقلي والجسدي الموروث

والى جانب هذا يدعو في ايمان عميق الى تحرير المرأة تحريرا كاملا تاما

والى اعطائها حقوقها الانسانية او كما يقول حقوقها الحيوانية الطبيعية وهو يدافع عن الامومة كيفما كانت ويعترض على هذه النظرة المنافقة الجائرة التي ينظر بها المجتمع الى الطفل الذى يأتي من علاقة تناسلية خارج الزواج (لانه يريد أن يطلق عليه اسم الطفل «غير الشرعي»)، ويستنكر تسلط الرجل على المرأة وطغيانه على حقوقها الاجتماعية والمدنية اشد الاستنكار. غير انه في الوقت ذاته لا ينسى ان يستنكر نزعة المرأة الحديثة الى التحرر التام من قيود جنسها والى اهمال الواجبات التي تفرضها الامومة عليها

وهو يحمل على الاهواء والتقاليد حملات منكرة لانه يعدها عدوا من الد اعداء الاصلاح ومن أعمقها تأصلا في الطبيعة البشرية، كما يعدها مسئولة عن كثير من الشرور والرذائل التي سادت على

الحياة الانسانية اجيالا طويلة . ويرى ان لاسبيل الى الخلاص منها الا « اذا أدخانا الروح العلمية فى مدارسنا وأخذنا تلاميذنا بطريقة التفكير المنطقى الفلسفى .. لان الناس يومئذ سوف لا يرضون لانفسهم ان يرددوا كالببغاوات كل نظرية او رأى تقليدى دون ان يكون له من سند الا التعودوالتكرار »

واذاكان فى الكتاب من نقص فان اظهر مافيه انه استعراض ذاتى لاراء المؤلف الشخصية اجمل معه كل الابحاث الحديثة التى تمت فى مختلف الفروع التى تتصل بالحياة التناسلية ، غيران هذا لا ينبغى ان يغض من قيمته الثقافية أو من اثره فى حفز قارئه — سواء اكان مؤيدا ام معارضا — الى التفكير فى مختلف الاراء الواردة فيه

* * *

غير ان البحث فى ميدان الحياة التناسلية وفى المظاهر المختلفة لنشاطها لم يقتصر لحسن الحظ على الرجال فقط بل ساهم فيه عدد غير قليل من فضليات النساء ايضا فسددن بذلك ثغرة لم يكن الرجل يستطيع — مهما اوتى من الكفاية ودقة الملاحظة وسعة التجربة — ان يملأ فراغها . واشتركت كل واحدة منهن فى الناحية التى تهيؤها لها كفايتها .. فسمعنا اسم الين كى وروزا مايريدر وهيلين ستوكر وماريا ليشنويسكا ومارى ستوبس وغيرهن ، وقرأنا المباحث المتعددة عن التربية الجنسية وعن واجب الام فى اعداد ابنائها — فتيانا وفتيات — لمواجهة المشاكل التناسلية فى الحياة وعن الحب والزواج وعن عوامل التوفيق والشقاء فى الحياة الزوجية الى غير ذلك من البعوث التى تعد من الاسس الهامة فى بناء الاسرة والمجتمع

ولعل الدكتورة ماري ستوبس هى الكاتبة الوحيدة التى حظى قراء العربية بترجمة بعض مؤلفاتها الى لغتهم . ويمتاز اسلوبها بالسهولة والوضوح مع الصراحة فى معالجة أدق العلاقات الجنسية بين الزوجين . وهى تأخذ من حياتها الخاصة عبرة نافعة وتعتقد ان السعادة والانسجام فى الاسرة لا يمكن ان يوجدا بغير ان يصل الزوجان الى التوافق التام فى علاقاتهما الزوجية وبغير ان يدرك كل منهما مزاج الاخر ويحترم عواطفه وميوله . وكتابها « الحب الزوجى » يحوى خلاصة وافيه لآرائها فى هذا الموضوع ، ونعتقد ان كثيرين من الذين قرأوه قد افادوا كثيرا من مطالعته

ولمارى ستوبس آراء ناضجة ونافعة فى كل المشاكل الجنسية التى تعرض للشباب أو للازواج ولكن همها الاكبر قد اتجه فى السنوات الاخيرة الى مشكلة نراها على جانب كبير من الاهمية والخطورة تلك هى تحديد النسل او تنظيمه ، فكتبت فى هذا الموضوع عشرات المقالات ونشرت عنه بعض الكتب ثم رأت ان تتبع هذه الدعاية النظرية بعمل ايجابى فانشأت بعض عيادات خاصة

الغرض منها ارشاد نساء الطبقات الفقيرة الى خير السبل واجداها في تنظيم النسل وقد نجحت في هذا العمل الى حد كبير

ويطول بنا الحديث لو اننا حاولنا ان نستعرض كل الاسماء التي ساهمت في بناء علم التناسليات الحديث أو في تقريب الثقافة التناسلية الى اذهان الجمهور • فحسب الذين اشتركوا في هذا العمل انهم — كما قال هافلوك اليس — كحملة المشاعل الى حين ، يضيئون بها الظلمات التي تحوطهم وتكتنف الطريق امامهم . وقصاراهم من أداء الواجب ان يحملوا مشاعلهم متوهجة غير مرتجفة حتى يأتي من بعدهم من يحملها عنهم .. بينما يتلاشون هم في الظلام

دكتور صبري جرجس



فرح أنطون

دراسة تحليلية عن حياته الفكرية

بقلم أسعد حسني

... شهران مضيا علي ، وانا لا ابرح افكر في « فرح انطون » . وأروح واغدو ، وأقوم وأقعد ، وأنا اجتر عدة خواطر ، مبهمة كلها تتعلق به . منها ما يتصل بحياته ، ونزعاته ، وتوجيهاته للادب الحديث ، ومكانته في الثورة الفكرية الجديدة . ومنها ما يتصل بنصيبنا منه وبنصيبه منا وبذلك العقوق ، والجحود ، والنكران ، الذي جوزي به في الدنيا ، وبعد الموت ..!

وقد يكون السبب الذي بعث في نفسي هذه الخواطر ، تلك الكلمة القصيرة ، المنشورة في العدد الماضي من هذه المجلة ، التي قصد منها الى تنبيه الوجدان الادبي في مصر ، والشرق جميعاً ، بضرورة الاحتفال بهذا الاديب الممتاز بمناسبة مرور خمسة عشر عاما على وفاته . فأن في ذلك « تنويها بالوان التجديد التي قام بها في توجيه الادب الحديث نحو الثورة ، واعترافا بفضله وأثره في التفكير المصري »

عقوق ... وعرفان

والواقع أن الانسان عندما يفكر في فرح انطون ، الذي عاش كأشرف ما يعيش الاديب الحر والصحافي النزيه ، مخلصاً لفنه ، وفكره ، مدافعاً عن حرية الرأي واستقلال الشعوب ، ليفيض فؤاده اسى ولوعه ، ويحس بالخجل والمرارة والاستخذاء ، حين يرى أن ذلك هو مصير المفكرين الاحرار ، أو المجاهدين الابرار . فانه لمن المؤلم حقاً ، أن ينسى فرح انطون الذي كان في الطليعة من ادباء مصر ، بل الشرق ، هذا النسيان المزري ، وان يحرم في موته حتى من كلمة الذكر الطيبة أو التقدير الجميل ، او العرفان بمآثره المتعددة ،بعد ان ظلت المحنة لاصقة بحياته الشريفة العظيمة في حين انه لا يوجد في مصر أديب يؤبه به من اصحاب النزعات الحرة الثائرة لم يتأثر منه ، ولم

يعترف له بأنه كان مبعث حياة جديدة ، ونور ساطع . فنهج منهاجه وسار على منواله وأصبح بفضله ملحوظاً فى النهضة الحاضرة

دعوة نبيلة

وهذا هو الداء الشائع والعلة الاصيلة . فان احـداً من هؤلاء الادباء الكثيرين ، الذين نالهم من فضل فرح انطون المعنوي ، اوفر نصيب ، لم يكلف نفسه مشقة ذكره بين الحين والحين أو يعرفه الى شباب الادباء الذين ظهروا حديثا ويجهلونه لبعد العهد به

ولولا هذه الكلمة القصيرة التى نشرتها هذه المجلة فى عددها الماضى ،لماساغ احد على الاطلاق هذا الاهمال المعيب لذكرى ذلك الرجل الذى خلبت كتاباته الباب الاكثرين ، وايقظ بافكاره الحرة النيرة اقطار الشرق النائم فى ظلام الجهل . الهائم فى مسارح الخيالات والاحلام ..

وأن الدعوة النبيلة التى انطوت عليها كلمة « المجلة الجديدة » — بضرورة الاحتفال بذكري فرح انطون . لتعتبر بمثابة تكفير عن ذلك النسيان . والعقوق . وتوجيه جديد لكى نعمل عملا جدياً نخلد به ذكرى عظمائنا . ابقاء على آثارهم الخالدة . وبراً بالمبادىء السامية التى بشروا بها فاقاموا للوطن صروح العظمة . وعقدوا لنهضة الفكر المصرى أضخم أقواس المجد والخلود !

مبادؤه ونزعاته

٤٨ عاماً عاشها فرح انطون . وسر صناعته الصدق لفنه . وشعاره الاخلاص فى تقرير الحقائق والمجاهرة بها . ويكفى ان يطالع له الانسان فصلا واحداً من الفصول التى كان ينشرها فى مجلة « الجامعة » ليدرك كيف كانت صفحاتها تفيض بالوان من الغذاء الذهنى الجديد . الذى كانت تنبعث من عقل متوقد . ينفعل بمختلف الموجات الفكرية الحديثة وقلب يلتهب تتجاذبه تيارات الحياة الحرة التى كانت شائعة فى هذه الايام ...

وكان المطالع لما يكتبه فرح انطون يشعر لأول وهلة بما تتركه كتاباته من الاثر البليغ فى نفسه اذ يرى قلبه وقد تفتحت مغاليقه لاستقبال هذه الاراء الجديدة . كما تستقبل الجماهير ديناً جديداً حديثة العهد بالايمان به . أو كما تستقبل الوجوه فى مطلع الشمس تباشير الصباح بعد غسق طويل !

وكان فرح انطون لا يعيش فى الهواء . كغيره من كتاب زمانه . فكان للكتابة أثر الحق الكامل . والجوهر الصادق . فمشاعره كانت تنبع من قلبه . وافراحه واحزانه لم تكن وهمية

فارغة . بل هي من فيضان نفسه . لانه كان يتوخى فى كل ما يكتبه فائدة حقيقية ملموسة ..
ويكفى للالمام بروح هذا الكاتب النابغ أن ينتبه القاريء لهذه العواطف السامية التى كانت تخامره . وتلك النزعات الفكرية العالية التى تمر فى ذهنه ، وما يتجاذبه من هذه وتلك فيشعر بشعاع واحد . من نور هذه الشمس الساطعة التي كانت على الدوام مشرقة فى صدر فرح وعقله . دون ان تأفل او تغيب !..

وكانت نزعات فرح ومبادؤه تنطق بها كتاباته الكثيرة فى مختلف الشؤون الاجتماعية والادبية . والفلسفية . والسياسية . ولكنه كان حتى فى معالجته لجماع هذه الشؤون انما يعالجها باسلوب الاديب الصوفى . الذى يفضل المجهول على المعلوم . ويقتحم الدياجير الكشف عما يحتجب خلفها من الاسرار . محاولا ان يبدل من الوحشة أنساً . ومن العدم وجودا ومن الغموض امرا مجلواً . جلاء الحقيقة التى عاش ومات وهو يعتنقها ..

كان فرح انطون من اوائل من دعا الى الاراء الحرة فى الشرق العربى . وفى طليعة من بثوا الديمقراطية وغيرها من المبادىء السامية فى النفوس وبذروا بذورها فى الاذهان . ونبهوا اليها بين الناطقين بالضاد . ولذلك كان اديبا ذا ضمير حى . وخلق كريم . فلم يكن من الذين يكتبون للمتاجرة . او السعى وراء الشهرة . او الجري وراء المغانم . بل كان رقيق الشعور : كثير الاحساس بآلام المجتمع . وأوجاع البشر . ولذلك فقد ظل طيلة حياته انسانيا كامل الانسانية فى معاملاته للناس واتصاله بافرادهم ، بارا بهم فيما يصدر عنه من ألوان التفكير . وكان شديد التقديس للاشتراكية ، عظيم الرجاء فى أن تعم العالم . ولعل أثر تولستوى فيه قد بدا بوضوح فى مقتبساته الروائية التى ترجمها وأهمها. « بول وفرجيني » لبرناردين سان بيير . « واتالا » لشاتوبريان » و « الكوخ الهندى » وغيرها من كتاباته الخاصة ، ومؤلفاته الموضوعة . وكان فرح انطون يتحمس فى دعوته للحرية ، ويراها حقا مقدساً من حقوق الشعوب والامم . فلما رأي أن الشرق تتناهبه المطامع الاستعمارية البشعة ، دعا أقطاره الى التضافر ، وتكوين جبهة متحدة ، متراصة للوقوف فى وجه هذه المطامع ، على أن تتسلح بالقوة . ومن هنا تحولت أفكاره ، وتغيرت مبادؤه خصوصاً بعد هجرته الى أمريكا ، واصطدامه بتيارات الحياة السياسية والاقتصادية وتقلباتها هناك . ودعا بعد ذلك الى فلسفة القوة ، متأثرا بما قرأه « لنيتشه » وما غمره فى أمريكا من تيارات المبادىء العلمية المتضاربة . ورأى من وقتها أن بث مبادىء الاشتراكية فى الشرق ، لا يكفى وحده لتأييد الديمقراطية ، ان لم تكن هذه الدعوة مرادفة للقوة ، لحماية هذه الديمقراطية ، والا لبقيت المسألة نظرية فلسفية بحتة ، حلوة المذاق ، ولكنها بعيدة عن التطبيق والتحقيق ..

وحين ننظر فى مؤلفات فرح انطون ، نظرات استعراضية سريعة أو نشير الى مقالاته السياسية فى الصحف اليومية المصرية التى تنقل بينها ، واشترك فى تحريرها فى فجر الحركة الوطنية القومية ، نلمس هذه المبادىء والنزعات الحرة ، التى تفانى فى تقديسها تبدو بجلاء ووضوح فى كل ناحية ففى « فسلفة ابن رشد » وفى « الدين والعلم والمال » وفى « الحب بعد الموت » وفى « تاريخ المسيح » و « نهضة الاسد وثبته ، وفريسته » و « المرأة فى القرن العشرين » وغيرها من مترجماته الرائعة — كان فرح انطون ، هو الكاتب الذى حرص على أن يغرس فى نفوس قرائه هذه المبادىء ، حاضا اياهم على العمل بها . والتعلق باذيالها فى مقاومة الظلم والاستعباد وتأييد الحرية ..

***

جهوده فى ترقية التمثيل

ويطول بنا الحديث اذا حاولنا أن نستعرض جهود فرح انطون فى ترقية فن التمثيل . والنهوض بمستواه عن طريق تغذيته بصنوف الروايات الممتعة والدرامات المفيدة . والواقع أن بعض الناقدين قد أخذوا على هذا الكاتب الكبير أنه كان يتوخى فى بعض هذه الروايات ، ما يسلى الجمهور ، ويجذب العامة . من حيث بهرجة المظهر فقط والمنظر — دون أن يوفر للمشاهدين العبرة الجميلة التى يستخلصونها . ولهذا فقد كان كثير من المستنيرين يرغبون عن رؤية التمثيل فى ذلك الوقت . ومنها رواياته المؤلفة والمترجمة أيضا ولكنهم مع ذلك لم يختلفوا على أنه منذ اتجهت انظاره الى التمثيل العربى ا كسبه قوة . وبهجة . وجدة . لأن فرح انطون روائى قدير . تأصلت ملكته القصصية من نفسه . واثرت حتى على أسلوبه حين كان يعالج موضوعا سياسيا او مقالا ادبيا

ومما لا ريب فيه ان لفرح انطون روايات . ارتفع فيها وأحسن وأجاد : وبلغ أعلى المراتب لا سيما تلك الروايات التى كان يحرص على ان يضمنها مبدأ من مبادئه الاجتماعية .. او يدرس بها رأيا متطرفا فى السياسة اودرسا وطنيا فى الدعوة الى التضحية والقومية . بكل ما وسمته ملكته الفنية من الحيل العجيبة والاساليب الممكنة .

كذلك لا ينكر عليه أحد اثره فى ترقية التمثيل الغنائى . ويكفى ان نذكر بعض رواياته على سبيل المثا ليعلم القراء كيف امكن لفرح انطون ان يؤثر ويعلم ويفيد . وأهمها ، اورشليم الجديدة . وصلاح الدين .. ومصر الجديدة .. وأبو الهول يتحرك . كما اقتبس عدة روايات اهمها البرج الهائل . ابن الشعب . اوديب الملك . كرمن . تاييس . الساحرة وغيرها ..

« • »

ان فى كل آثار فرح انطون . نجد من الايات البينات . فى مختلف الاغراض السامية والمبادىء الحرة الشريفه . التى تزيد المفكرين كرامة وعزة . . وتبث فى النفوس الحماسة والقوة — ما هو خليق بالذكر والتكريم

وان «المجلة الجديدة» لتنصف بدعوتها الكريمة النبيله احياء ذكرى رجل له أحسن الاثر فى أدبنا الحديث وتوجيهه خير الاتجاهات . وافيدها وأجداها نفعا .

أسعد حسنى

مطبعة المجلة الجديدة بمصر
١٢ — شارع نوبار
مستعدة لطبع الكتب والمجلات

السيكلوجية بين العمال

كتاب انجليزي ملخص

الكتاب الذي ألخصه هنا يسمى « السيكلوجية الصناعية » كتبه نخبة من أعضاء الجمعية الأهلية للسيكلوجية الصناعية بانجلترا ووضع مقدمته الدكتور مايرز مدير هذه الجمعية وعدد صفحاته ٢٥٢ من القطع المتوسط ومقسم الى ١٣ فصلا . وكتب بعبارة سهله ليفهمه الجمهور

والذى دعانى الى تلخيص هذا الكتاب هو أنه يمس حياتنا جميعا بلا استثناء وينبهنا الى نقط ضعف قلما يلاحظها البعض سواء فى عملهم أو فى كل حركة يقومون بها . والذى يجعل له فائدة عملية أن مؤلفيه لم يكونوا فى يوم من الأيام مشتغلين بأعمال ادارية مكتبية بل انهم اختبروا الحياة العملية فلهم اتصال وثيق برجال الاعمال واصحاب المصانع يحتكون بالعمال ويدرسون مشاكلهم ويحلونها بطريق ودي معتمدين فى ذلك على نتائج الابحاث العلمية

قد يكون غريبا أن نتحدث عن السيكلوجية فى الصناعة فما دخل الصناعة وما دخل علم النفس أى ما دخل الالات والادوات والعمال بهذا العلم ؟ يهتم علم السيكلوجية الصناعية بالناحية الانسانية ولا يعير اهتماما كبيرا للناحية الميكانيكية الفنية فجل اهتمامه موجه الى العامل فيعامله معاملة مخلوق له وجود فى الحياة يتأثر بالعوامل الطبيعية ويؤثر فى المجتمع الذى يعيش فيه

وفى البدء أود أن أوضح المقصود من كلمتين :

١ — العامل ٢ — الصناعة

المقصود بالعامل كل شخص يقوم بمجهود سواء أكان عضليا أم عقليا وعلى ذلك فكلنا عمال والمقصود بالصناعة أوسع معانيها بحيث تشمل كل عمل يقوم به الانسان سواء فى المكتب أو فى المصنع أو فى البيت

والاغراض التى يرمى اليها علم السيكلوجية الصناعية هى :

١ — اختيار أحسن وظيفة يليق لها العامل واختيار أحسن العمال لكل وظيفة

٢ — دراسة أحسن الوسائل لملافاة التعب

٣ — دراسة الطرق التى تدفعنا الى العمل وبذل أقصى الجهود عن طيب خاطر
٤ — كيفية تمرين العامل على عمله
٥ — منع الاسراف فى الجهود نتيجة عدم التوفيق بين الحركات أو نتيجة عدم توافر البيئة الصالحة للعمل

وسأقصر الكلام على ثلاثة موضوعات :

١ — بيئة العمل وظروفه
٢ — العمل والراحة
٣ — كيفية اختيار المهنة

١ — بيئة العمل وظروفه

الانسان أقدر المخلوقات على تكييف معيشته تبعا للبيئة التى يعيش فيها فاذا كانت قواه العضلية ضعيفة فانه يستخدم ذكاءه ليعوض عليه ذلك النقص . ويعيش الانسان فى المناطق الباردة والحارة وعلى ارتفاع عدة أميال فوق الارض وعلى انخفاض عدة أميال تحت الارض ولكن يجب أن لا نغفل أن مقدرته على العمل تختلف تبعا للبيئة المحيطة بهذا العمل . وترمى الابحاث العلمية الى اكتشاف تأثير البيئة على حياة الانسان — على صحته وعلى سعادته وعلى مقدرته الانتاجية ويأتى علم السيكولوجية الصناعية . ويطبق نتائج هذه الابحاث ليكتشف أحسن بيئة تلائم كل عمل على حدة

وتشمل بيئة العمل والظروف المحيطة به ما يأتى :

١ — بيئة تؤثر على فكر العامل
٢ — بيئة تؤثر على صحة العامل

البيئة التى تؤثر على فكر العامل

يحمل كل منا مخاوف وحقداً وآمالا وعداء ضد الاخرين وتؤثر هذه كلها على مقدرته على العمل وعلى سعادته . فاذا كان جو العمل يدعو الى الطمأنينة وراحة الضمير وعدم الانزعاج والقلق تعاون العامل مع جاره وأمكن حل نقط الخلاف بين الطرفين بطريق ودى أساسه التعاون المشترك اما اذا انعدمت الثقة بين العمال فتكون النتيجة تعطيل العمل والقعود عن الجهود فيضيع على

رؤوس الأموال أرباح لها الحق فيها وتنخفض أجور العمال ومن ثم يخسر كل المشتركين فى العمل أو بعبارة اخرى وظيفة علماء السيكلوجية هى درس أسباب النزاع والعوامل التى تؤدى الى تعكر جو العمال وهم يحاولون التوفيق بين المتنازعين والتقريب بين وجهات النظر

البيئة التى تؤثر على صحة العامل

اذا اشتغل الانسان فى مكان غير صحى واقصد بذلك ان درجة حرارته ورطوبته ونظام تهويته غير تام فانه يشعر بالتعب والكسل : ومن الضرورى جدا التوفيق بين العمل وبين البيئة الضرورية له فقد وجد بالتجارب ان لكل عمل من الأعمال بيئة معينة أى درجة معينة من الحرارة والرطوبة وسرعة معينة لحركة الهواء . وطبعى أنه لايمكن تحديد ذلك بدقة تامة ولكن يمكننا أن نصل فى تحديدنا الى درجة كبيرة من الدقة معتمدين فى ذلك على الاختبارات ونتائج الابحاث العلمية

تأثير المكان الصحى

١ — درجة الحراره والتهوية

هناك علاقة بين تهوية المكان ودرجة حرارة الجسم فتؤدى الاولى الى تخفيض درجة حرارة الجسم عن طريق ازالة الحرارة الزائدة عن الحاجة To renove Surplus beat from the body

ويرجع السبب فى الشعور بالتعب فى حالة العمل فى مكان ردىء التهوية الى أن هواء هذا المكان لا يمكنه ازالة الحرارة الزائدة عن الجسم لذلك فيشعر الانسان بأن درجة حرارته أرتفعت وأن جسمه مصبب بالعرق

ومن الصعب جدا الاحتفاظ بتهوية مكان العمل فى بعض الصناعات كصناعة المعادن . وهناك علاقة عملية بين درجة الحرارة وانتاج العامل فقد عملت تجارب فى خمسة مصانع للفولاذ فكان الانتاج فى شهر أغسطس — وهو آخر شهر السنة اقل ١٠ ./. عنه فى شهر يناير. كما أن الاصابات قد زاد عددها عند ما ارتفعت درجة الحرارة من ٥٢ ف — ٦٧ ف ولا يمكننا بالطبع أن نحدد رقما يمثل درجة الحرارة النموذجية لكل المصانع ولكل العمليات بل إن ذلك يحدد تبعا لظروف كل عمل على حدة مع مراعاة تأثير درجة الحرارة على العامل وعلى مقدرته الانتاجية فاذا كان العمل عضليا وفى جو حار كما فى مصانع الحديد والزجاج فيجب أن تكون التهوية سريعة حتى تنخفض درجة حرارة جسم العامل . اما الاعمال التى تحتاج المجهود عقلى أو لا تؤدي الى انهاك القوى الجسمية فالاعمال

الكتابية والصناعات اليدوية البسيطة فيجب ان تكون درجة الحرارة متوسطة ونظام التهوية تاما بحيث لا يفقد الهواء مقدرته على إزالة الحرارة الزائدة عن الجسم

وقد ورد فى تقرير فى معهد دراسة التعب فى الصناعة أن الهواء فى غرفة تامة التهوية وصالحة للعمل يجب ان يكون :

١ ـ باردا لا ساخنا ٢ ـ جافا لا رطبا ٣ ـ متحركا لا ساكنا ٤ ـ وأن تتفاوت درجة الحرارة من مكان الى مكان فى الغرفة الواحدة

٢ ـ الاضاءة

تؤثر درجة الحرارة على المقدرة الانتاجية عن طريق غير مباشر بتأثيرها اما على عقل العامل أو على قواه الجسمية . اما الاضاءة فلها تأثير مباشر على المقدرة الانتاجية فاذا قلت ضعف الانتاج وازداد العادم أي المواد الأولية التالفة : أو السلع الرديئة الصنع . وأنهكت قوى العامل بدون مبرر

وموضوع الاضاءة يثير لنا سؤالين :ـ

١ ـ هل يمكننا تغيير نظام الاضاءة ؟

٢ ـ ما تأثير الاضاءة على العامل ؟

هل يمكننا تغيير نظام الاضاءة ؟

فى الواقع أنه لا يمكننا أن نحدد حدا أدنى لمقدار الضوء اللازم لكل عملية ذلك لأن عدسة العين تتكيف تبعا لمقدار الضوء الذى يسقط عليها . واذا فرضنا امكان تحديد ذلك فتقابلنا صعوبة وهى أنه لا يمكن قياس درجة الاضاءة بالاعتماد على العين المجردة بل يجب أن نعتمد على الادوات لأن العين لا يمكنها أن تحس بالتغيير فى مقدار الضوء إلا إذا كان فجائيا أما التغيير المنتظم والمتدرج فلا تحس به

ويرجع السبب فى قلة الاضاءة فى مكان العمل الى الخطأ فى التصميم الهندسي الذي من شأنه أن يقلل الفتحات التى يدخل منها الضوء . أضف الى ذلك عدم تنظيف زجاج النوافذ والابواب . وقد وجد عمليا أنه إذا تركت هذه من غير تنظيف لمدة ٦ أشهر فانها تمتص نصف الضوء الذى يدخل منها . كذلك لون الحجرة تأثير كبير فالالوان القاتمة كاللون البنى تمتص من ٤٠ ./. ـ ٩٠ ./. من الضوء

وليس من السهل تغيير نظام الاضاءة فى المصانع القـائمة فى الوقت الحاضر لأن ذلك يـكلفها كثيرا ومن الصعب اقناع اصحاب الاعمال غير المتنورين بتأثير الاضاءة على صحة العـامل وعلى انتاجه وكل ما يمكن عمله هو انه عند وضع تصميم المصانع الجديدة يجب أن يسترشد المهندسون برأي علماء السيكلوجية الصناعية لتحديد أماكن الاضاءة وقوة المصابيح

تأثير الاضاءة على العامل

اذا سألت العامل الذى يشتغل فى مكان أقرب الى الظلام منه الى النور عن مبلغ الاضاءة قال لك انه «خد على كده» He is used to the light ولـكن تأثير قلة الاضـاءة يظهر فى قلة انتاجه ورداءة نوع السلع المنتجة ثم ضعف عيني العامل مما يؤدي فى غالب الاحيان الى فقدان البصر

وتثير مسألة الاضاءة موضوعا هاماوهو . التوهج . glare التى تنشـأ من انعكاس الضوء من سطح لامع . وعند سقوطه على عدسـة العين يحتم الالتفات الشديد من جانب العين ومن ثم الى ضعفها وتعب الجسم عامة ويجب أن نتـلافى على قدر الامكان هذا التوهج وخصوصا فى مصانع الحديد أو الصاج او المعادن التى لها بريق وذلك عن طريق تنظيم توزيع الاضاءة فبدلا من أن تضاء عملية معينة بمصباح واحد قوته ٣٠٠٠ شمعة تضاء بثلاثة مصابيح قوة كل منها ١٠٠٠ شمعة

٢ — العمل والراحة

يحتاج المرء الى الراحة بعد العمل واذا استمر فى عمله مدة طويلة فانه يشعر بالتعب والخمول وينقسم التعب الى ثلاثة أنواع

١» تعب جسمي
٢» تعب عصبي
٣» تعب عقلي

ومعلوماتنا عن هذه الانواع الثلاثة ليست تامة ونقتصر على معرفة ظواهر وعلامات Symptoms كل منها وهى :

١ » بالنسبة للتعب الجسمى :—

ا — ارتخاء العضلات عامة

ب — ارتخاء عضلات العينين خاصة — أى صعوبة فتح العينين

ج — وتشويه المرئيات fonssing of the eye is difficult

د — طول الفترة يتنبه الجسم بعدها المؤثرات الخارجية Reaction time is increasd

٢» بالنسبة للتعب العصبي

ا — ضعف الاحساس

ب — ارتعاش الاطراف وخصوصا اليدين

٣ » بالنسبة للتعب العقلى : —

ا — عدم ضبط الكلام وعدم الدقة فيه

ب — صعوبة الفهم وصعوبة تركيز العقل حول موضوع معين

اسباب التعب — للتعب سببان

١» العمل المستمر مدة طويلة

٢ » عدم ملاءمة بيئة العمل وظروفه

والكل متفقون على ان العلاج الوحيد للتعب هو الراحة التامة مدة من الزمن تختلف تبعا لطبيعة العملية التى يقوم بها العامل

كيف يقاس التعب

يقاس التعب فى الصناعة عن طريق جمع احصاءات عن الانتاج وعن مرات الغياب والحوادث والمرض. ومن هذه البيانات تعمل رسوم بيانية تمحص وتدرس بواسطة خبير فنى فى علم الاحصاء ومنها يستدل على وجود التعب من عدمه فمثلا العامل النشيط اى الذى لم يتعب فى اثناء عملية معينة نجد ان خط بيانه رقم انتاجه منتظم . أما العامل الذى يتعب فخطه البيانى غير منتظم يهبط الى اسفل اذا تعب ويرتفع اذا نشط ويكون ذلك قرب ميعاد الغداء وقرب الانصراف فى المساء . أما احصاءات مرات الغياب والحوادث والمرض فانها تدل على التعب ذلك لان التعب المستمر والمتراكم يؤدى حتما فى النهاية الى ضعف فى الصحة العامة ومن ثم الى نقص الانتاج

قبل أن نشرح كيفية ملاقاة التعب يحسن أن نقول كلمة عن عدد ساعات العمل فى الوقت الحاضر ومنها نتدرج الى فهم كيفية ملاقاة التعب

عدد ساعات العمل : يشتغل العمال فى الوقت الحاضر مدة تتراوح بين ٨ ونصف و٩ ونصف ساعات يوميا لمدة خمسة أيام ونصف فى الأسبوع. ويميل العمال وتنص النقابات الى المطالبة بجعل عدد

ساعة العمل ٤٠ ساعة فى الاسبوع وقد نجحت فى كثير من الدول . ويمكننا أن نقول كمبدأ عام انه كلما قلت ساعات العمل ازداد الانتاج وقل العادم من المواد الأولية وعلى العكس من ذلك كلما أرغم العامل على الاستمرار فى العمل أكثر من عشر ساعات يقل انتاجه ويهمل فى عمله وتزداد الاصابات والحوادث. فمثلا فى احدى مطاحن الغلال رجع مجلس الادارة عدد ساعات العمل الى ١٥ ساعة فى اليوم ظنا منه أن ذلك يؤدى الى زيادة الانتاج فكانت النتيجة نقص الانتاج بمقدار ١٠ فى المائة وزاد العادم من السلع بمقدار الضعف

وقد يكون غريبا أن يزداد الانتاج كلما نقصت ساعات العمل ولكن هذا هو الواقع .فمثلا عند ما كانت ساعات العمل ٦٦ ساعة فى الاسبوع كان رقم قياس الانتاج ١٠٠ فلما نقصت الى ٥٤ر٤ ساعة فى الاسبوع زاد رقم قياس الانتاج الى ١٣١ ولما نقصت الى ٤٧ر٥ ساعة فى الاسبوع زاد رقم قياس الانتاج الى ١٥٧ وتبع كل ذلك زيادة فى رقم الانتاج الاسبوعى أيضا .

وليس من مصلحة صاحب العمل ارهاق العامل بارغامه على العمل ساعات أكثر من المقررة أى وقت اضافى overtime لأن ذلك يؤدى الى زيادة تعبه فيقل متوسط انتاجه فى الساعة وكذلك يقل انتاجه فى اليوم التالى . مثلا فى احد المصانع كان عدد ساعات العمل اليومى عشرة وتقرر وقت اضافى ٢ وثلثى ساعة فنقص الانتاج بمقدار ٦ر٠ ٪ عن اليوم العادي ونقص الانتاج فى اليوم التالى بمقدار ٢ر٩ فى المائة بمعنى أن الوقت الاضافى يؤثر على انتاج اليوم وعلى انتاج اليوم الذي يليه .

وفيما يلى خلاصة التجارب فى موضوع عدد ساعات العمل :

١ — كل نقص فى عدد ساعات العمل يؤدى الى نقص فى عدد الاصابات وفى العادم من السلع وفى عدد مرات التغيب والمرض

٢ — نقص عدد ساعات العمل من ١٢ — ١٠ يوميا يؤدى الى زيادة فى رقم الانتاج فى الساعة وفى اليوم .

٣ — نقص عدد ساعات العمل من ١٠ — ٨ يوميا يؤدي الى زيادة أكثر فى رقم الانتاج فى الساعة وفى اليوم

٤ — كل نقص بعد ذلك أى بعد ٨ ساعات يوميا — يؤدى الى زيادة رقم الانتاج فى الساعة أما رقم الانتاج فى اليوم فيبقى كما هو

طريقة ملافاة التعب : —

فترات الراحة هى أهم الطرق للتخلص من التعب . والمقصود بفترة الراحة المدة بين وقت

انتهاء العمل فى آخر النهار وبدءه فى اليوم التالى . وكذلك يقصد بها فترات الراحة فى أثناء العمل وهذه هى الأخيرة التى تؤدي الى تقليل التعب .

وقد دلت التجارب على أن العامل لا يمكنه أن يحتفظ باستمرار طول مدة العمل بل هناك فترات راحة تتخللها — عند تعطيل آلته مثلا — أو يأخذها خلسة عند ما يكون متعباً

وهنا نتساءل عن مدى فترات الراحة التى تعطى فى أثناء العمل ومتى تعطيها للعامل ؟ يمكننا تحديد ذلك عند دراسة الخط البيانى لرقم الانتاج لكل عامل على حدة لأن منه يظهر أثر التعب ويجب أن تعطى فترة الراحة عند ما يصل الانتاج الى الحد الأقصى — والذي بعده يبدأ الانتاج فى التناقص — ويجب أن تكون فترة الراحة طويلة بشرط أن تساعد على ازالة التعب وبحيث لا تؤدى الى فقدان نشاط العامل .

وتختلف مدى فترة الراحة من عمل الى آخر فالاعمال التى تحتم اجهاد العضلات يستحسن أن تكون فترات الراحة فى أثناء العمل قصيرة ومتقاربه مثلا دقيقتين راحة كل ٤٠ دقيقة عمل أما الاعمال التى تحتم اجهاد الفكر فيجب أن تكون فترة الراحة أطول منها فى الأعمال العضلية .

١ — النتيجة المباشرة لهذا النظام هو أن يزداد الانتاج فمثلا فى احدى العمليات كان الانتاج قبل ادخال نظام فترات الراحة أثناء العمل ١٦ وحدة فى الساعة وبعد ادخال دقيقتين راحة كل ٢٥ دقيقة عمل زاد الانتاج الى ١٨ وحدة فى الساعة ولما كانت فترة الراحة دقيقتين كل ١٠ دقائق عمل زاد الانتاج الى ٢٥ وحدة

٢ — نقص الوقت الذى يضيع نتيجة الغياب والمرض وقد نقص فى احد أقسام احد المصانع الى ٢٥ فى المائة وقد لوحظ أنه زاد فى الاقسام الاخرى بمقدار ٧٣ فى المائة حيث لم يتبع نظام فترات الراحة فى أثناء العمل

٣ — تحسن جودة السلع المنتجة بجانب زيادة كميتها وقد ظهر ذلك جليا فى احدى المطابع حيث نقص الخطأ عند ترتيب الحروف بعد ادخال ١٠ دقائق راحة فى الصباح ومثلها بعد الظهر

وادخال نظام فترات الراحة فى أثناء العمل لمن الصعوبة بمكان ذلك لأن معظم أصحاب الاعمال محافظين بطبيعتهم على ما ورثوه من نظم بالية لنظام العمل وعادات لا مبرر لها ، ويؤلم صاحب العمل أن يرى آلاته معطلة فى أثناء فترة الراحة لذلك يقاوم كل فكرة من شأنها ادخال هذا النظام ويتجاهل النتائج العملية من زيادة فى الانتاج الى تحسين فى مرتبة السلع المنتجة الى تقليل فى عدد الاصابات والحوادث . أما المتنورون من أصحاب الأعمال فهم الذين يرحبون

بمثل هذا النظام ومن ثم تزداد أرباحهم ويسعد العامل

٣ — اختيار المهنة

١ — أهمية اختيار المهنة

يجب أن يختار كل واحد منا المهنة التي توافقه بحيث يؤديها بأمانة ويشعر أنه سعيد بعد تأديتها . ويذهب الناس في ذلك الى فريقين : فريق يقوم بالوظيفة التي تناسبه تماما وفريق اخر يقوم بعمل لا يتناسب مع مؤهلاته العلمية أو الطبيعية وينقسم هؤلاء الى ثلاثة أقسام . فريق يؤدى أعمالا تتطلب مقدرة وكفاءة تفوق مؤهلاته فهذا الفريق تجده دائما مضطربا في عمله فاشلا كل الفشل . وفريق ثان عنده مؤهلات تساعده على القيام بالعمل ولكن بيئة العمل وظروفه غير ملائمة لطبيعة العمل فيأتي اخر النهار ويشعر هؤلاء بالتعب . أما الفريق الثالث فيقوم بأعمال بسيطة بالنسبة لمؤهلاته مثلا مهندس يقوم بوظيفة مدرس رسم في مدرسة ابتدائية — ويشعر هؤلاء بأنهم محرومون من سعادة هم أحق بها أن حقوقهم مغتصبة منهم لذلك تجدهم دائما ساخطون يائسون من الحياة لا يجدون فيها لذة أو متعة

ومن الثابت أن معظم الأمراض العقلية ناتجة من الخطأ في اختيار المهنة ولا أقصد من ذلك أن كل شخص أخطأ في اختيار عمله سيصبح مجنونا في يوم من الأيام أو عالة على الهيئة الاجتماعية ولكن ذلك هو أقصى ما ينتج عن الخطأ في اختيار المهنة والنقطة الهامة هي أن كل من يقوم بعمل لا يوافقه يشعر ببعض الالم سواء نفسي أو عقلي أو جسمي وأن جزءاً من جهوده يضيع سدي وكثيرا ما تجده كئيبا حزيناً في ساعات فراغه .

ولا يقتصر الضرر الناتج من الخطأ في اختيار المهنة على العامل فقط بل يتعداه الى صاحب العمل وإلى عائلة العامل . فبالنسبة للاول يكون الانتاج رديئا في النوع وقليلا في الكمية فتضيع عليه أرباح هو في حاجة اليها ويضيع الوقت في تموين عمال هم في الواقع غير أكفاء للعمل . أما بالنسبة لعائلة العامل فهذه تكون في كد مستمر سواء بين أفراد العائلة أو بين رب الأسرة وزوجه أو بينهم وبين الاقربين اليهم ذلك لأن رب الاسرة دائما « متعكر » ولا يعرف للحياة معنى غير البؤس والشقاء .

الطرق التي تتبع عادة لاختيار المهنة .

أما ان يكون الاختيار بناء على رغبة الطالب وعلى تفكيره

أما أن يختار الغير المهنة للطالب .

١ ـ أختيار المهنة بناء على رغبة الطالب

يقول كارلايل « قد أعطيت لـكل انسان مقدرة خاصة وله نصيب محدد فى الحياة » ويعتمد كثير من الطلبة على الشطر الاخير من عبارته ويتركون حياتهم للحظ فيختارون المهنة التى تأتى لهم أولا وسرعان ما تمضى بضع سنوات حتى يدركوا أنهم اكفاء لأى عمل آخر خلاف الوظيفة التى يؤدونها . والبعض الآخر من الطلبة يبنى حكمه على ميوله الخاصة فقد تجد أنه يميل الى الاعمال اليدوية فيختار أى مهنة تحتاج إلى عمل يدوي — تصليح ساعات مثلا . وهذا الفريق قد لا يجد فى الحياة نصيبا أوفر من سابقه ذلك لأن الاعمال اليدوية كثيرة ومتعددة فاختياره أى واحدة منها لا يمكن أن يكون عادلا وموافقا لميوله لذلك يشعر بألم ولكنه أقل من ألم الطالب الذى اختارت الظروف مهنته

يأتى طالب ثالث يختار مهنته على أساس المنطق والعقل مثل من اشتغل بالطب لأن ايراد الأطباء أكثر من غيرهم ولأن للاطباء احتراما وتقديرا فى نظر الجمهور وعلى ذلك يذاكر بجد وعند إتمام دراسته — بعد جهد جهيد بالطبع — لأنه لا يميل للطب يجد أن رزقه محدود فى هذه المهنة وبعد ذلك يجد نفسه فاشلا كل الفشل فى حياته العملية

يستنتج من ذلك أن الطالب الذى يختار المهنة التى تغريه لسبب ما — كالدخل الكبير الذى ينتج عن القيام بها أو لمظاهرها الخلابة — ليس بأسعد حال من ذلك الطالب الذى يبنى تقديره وحكمه على أساس المنطق والعقل أو الذى يترك الاختيار للظروف

٢ ـ اختيار الغير لمهنة الطالب .

قد تأتى أم الطالب وتقول له « ان صناعة الجلود من أظرف الصناعات التى أود أن تشتغل بها فيقول لها « نعم » ومن ثم يبدأ فى تعلمها . وقد يدرس طالب آخر صناعة الأثاث لأن له ابن عم وعده بمقابلة صاحب مصانع الأثاث الـكبرى كى يضمن له عملا أو لأن زوج بنت خالته يقوم بهذه الصناعة ويكسب منها كثيرا

وقد يختار الاب المهنة لابنه . وينقسم الآباء الى قسمين آباء جهلة بمعنى الـكلمة قصيري النظر يبنون اختيارهم لمهنة ابنهم على عوامل مادية . مثلا يجب أن يشتغل الابن بالـكهرباء لأنها تدر مكاسب هائلة للمشتغلين بها . وآباء متنورين يبنون اختيارهم على دراسة الظروف العامة للطلب على العمال وعلى الدخل لـكل صناعة . ومع ذلك فان كان الاب من النوع الأول الى الجهله أو الثانى الى المتنورين فان اختياره للمهنة هو على أساس خاطىء حتما ومسكين هذا الطالب فهو الذى يقع فريسة ويتحمل نتيجة الخطأ فى اختيار المهنة

أما المدرس فان ظن البعض أنه قادر على اختيار المهنة للطلبة فان ذلك محدود جدا لعدم اتصال المدرس برجال الاعمال وعدم المامه بظروف كل صناعة . وعدم محاولته التوفيق بين ميول طلبته ومقدرتهم وبين ما تتطلب كل مهنة على حدة ثم ان النجاح فى المدرسة لا يعتبر دليلا قاطعا على النجاح فى الحياة العملية بل ان الاخير يتطلب مقدرة خاصة عند الطالب لا تنمو الا عند ماتتوافر الظروف الملائمة للعمل وعند ما يختار الطالب المهنة التى توافقه

اذن ما العمل ؟ هذا يدعونى الى الكلام عن الطريقة الفنية لاختيار المهنة

الطريقة السيكلوجية

لفهم اساس طريقة علماء السيكلوجية فى اختيار المهنة نرجع الى العبارة التى قالها كارلايل « قد أعطيت لكل أنسان مقدرة خاصة وله نصيب محدد فى الحياة » فبحث علماء السيكلوجية الصناعية عن هذه المقدرة الخاصة عند الطالب معتمدين على نظريات الذكاء

وفى غالب الاحيان يدل المظهر الخارجى للطالب على اخلاقه العامة وعلى طباعه لذلك يهتم علماء السيكلوجية الصناعية بمقابلة الطالب والتحدث اليه بعض الوقت خصوصا وان اخلاق الكثيرين تظهر من كيفية اجابتهم على الاسئلة التى توجه اليهم ومن الملاحظات التى يبدونها . ويستأنس علماء السيكلوجية الصناعية برأى المدرس فى اخلاق الطالب وأخيرا يقابلون والديه او ذويه لتعرف رأيهم فى اخلاق الطالب وفى طباعه وأخيرا فى مستقبله

وبعد جمع هذه المعلومات تفحص الوظائف وما تتطلبه من شروط ومقدرة وأخلاق وطباع ومن ثم يقارن عالم السيكلوجية الصناعية بينها وبين المعلومات التى جمعها الطالب ويحاول التوفيق بين الاثنين فيقوم اولا باستبعاد الوظائف التى لا يليق لها الطالب بالمرة مثلا اذا كان الطالب ذكيا ولكنه ضعيف الجسم فاننا نستبعد الوظائف التى تتطلب مجهودا عضليا — وفى جميع الاحوال يجب أن ندرس ميول الطالب ورغباته والوظيفة التى يرغب الاشتغال بها فان توفرت لديه شروطها وكانت هذه شاغرة فى احد المصانع او المكاتب فتقوم بتأديتها . اما اذا لم يجد الطالب احسن وظيفة يليق لها فيبين له عالم السيكلوجية الصناعية الوظائف التالية لها فى الدرجة من حيث موافقتها لظروف الطالب

والغرض من ذلك هو ان نوجه الطالب الى العمل الذى يظهر فيه كفاءته ونبوغه وليستعمل القدرة الخاصة التى وهبها الله له وبذلك نتلافى النتائج الخطيرة المترتبة على الخطأ فى اختيار المهنة

سواء بالنسبة للطالب او صاحب العمل او العائلة والتى لها اكبر الاثر على سعادة المجتمع الانسانى أو شقاؤه

• • •

قد يقول لنا البعض ان علم السيكلوجية الصناعية يفيد العامل من ناحية توفير اسباب الراحة له فى عمله ولكن من ناحية اخري سيزداد العمل الواجب عليه اتمامه بمعنى انه اذا اوجدت الادارة فى البيئة الحسنة للعمل واختارت احسن العمال لوظيفة فستكون النتيجة الطبيعية المباشرة هى زيادة الانتاج وزيادة الكمية الواجب على العامل ان ينتجها . ولكن يرد على ذلك بان الفكرة الرئيسية التى يرمى اليها علم السيكلوجية الصناعية هى ان يمكن العامل من القيام بعمله بسهولة من غير تعب لا عضلى ولا عقلى ومن ثم يصبح العامل سعيدا حتى ولو زاد عبء العمل عليه

وما الذي يتطلبه الفرد منا اكثر من ان يكون سعيدا فى الحياة؟

ثابت قديس





كتب الشهر الجديدة

المسألة الجنسية

تأليف اوجست فوريل وترجمة الدكتور صبري جرجس
في مجلدين صفحاتهما ٣٠٨ و٢٥١ من القطع الكبير . ثمنهما ٣٠ قرشا
ويطلبان من المترجم في بني سويف

احسن الدكتور صبري جرجس الذي يعرفه قراء هذه المجلة بنقل هذا الكتاب الضخم في الثقافة الجنسية الى اللغة العربية . واوجست فوريل من الرواد الذين فتحوا الباب لدرس هذا الموضوع وعالجوه في نظافة بل طهر . فان التناسليات من الموضوعات التي كثيرا ما رأينا الكاتبيين فيها يلطخون ايديهم بالطين لحاجتهم الى الباقة او الى تلك الصفات التي يمتاز بها الاديب فتكسبه ذوقا خاصا يجعله يأنف من الاقذار . وفوريل اديب ومؤرخ وعالم . وقد قرأنا هذا الكتاب قبل ثلاثين سنة في الانجليزية ففتح لنا بابا من الثقافة لم يقفل وان كان قد اضربنا من النواحي المادية . فقد رفضت وزارة المعارف المصرية الاشتراك في هذه المجلة بحجة ان بها مقالات عن الثقافة الجنسية وهي مقالات مع ذلك نظيفة بعيدة عن الوحل والطين الذي تشتريه الوزارة في مثل كتب الشيخ العسكري او مثل ديواني جرير والفرزدق . ويسرنا ان وزارة المعارف في العراق لم تر هذا الراى واشتركت في هذه المجلة

والدكتور صبري جرجس أديب قد اشبع ذهنه بالقصص الرومي . وهو متمكن من أصول السيكلوجية الحديثة التي تتصل بأوثق الروابط بالغريزة الجنسية . وقد ترجم هذا الكتاب في لهجة شائقة تغري القارىء بالقراءة . والمؤلف موسوعي المعارف يحدثك عن التاريخ والعادات المستغربة عند الشعوب المختلفة . وينتقل بك من درس الأمراض التناسلية الى درس النواحي الاقتصادية لمسألة الجنسية . ثم يبحث الفنون والتربية والاخلاق والدين من هذه الزاوية

وهذا في المجلد الأول . أما الثاني فيكاد يكون كتابا في الأدب يقرأ في لذة واستمتاع معا والقارىء لهذا الكتاب يشعر أن المؤلف رجل أوربي مثقف يكره القسوة والظلم والتفاوت

الاقتصادى . وهو يقول عن المرأة هذه الكلمات التى تدل على ذهن راق

«ولا يصح أن تكون الفوارق الموجودة بين الجنسين مبرراً لأن يحتكر الرجل لنفسه كل الحقوق الاجتماعية والسياسية ، فان الحياة الخارجية وأقراننا الذين نحيا لهم وبهم هم سواء بالنسبة الى المرأة كما الى الرجل . وحتى اذا كانت عقلية أحد الجنسين فى المتوسط أعلى قليلا من عقلية الجنس الثانى فانه لا يبرر للاول الحق فى أن يمنع عن الثانى حرية الحياة وحرية العمل من الناحية الاجتماعية وفقا لعبقريته الخاصه . صحيح أن الجنسين مختلفان فى كثير من النواحى ولكن لا يصح أن ننسى أن كل قيد قانونى وبالتالى ، كل قيد صناعى يقيد به أحدهما الآخر يعمل على أن يعوق التقدم فى كليهما . فلكل من الجنسين الحق فى أن ينظر الى الدنيا ويتفهمها ويقدرها بحسب ما تمليه عليه طبيعته وبذلك يستطيع أن ينمى شخصيته بدلا من أن يتركها الى الهزال والضمور كالحيوان المدلل الاليف . ولن يستطيع أن ينكر أو يسىء فهم هذه الحقائق إلا كل من يقوده الغرض الاحمق الى الايمان بحق القوى . ان هذه القيود التى نفرضها بقوة القانون على المرأة ـ على عقليتها وعلى حياتها عموما وعلى حياتها الزوجية والتناسلية خصوصا ـ لا تتصل فى شىء بالقيود العادلة التى يجب ن يقررها القانون لحماية كل من الجنسين من أنانية بعض الافراد ، تلك الانانية التى تؤذى حقوق الاخرين كما تؤذى حقوق المجتمع»

ديوان حافظ ابراهيم

فى مجلدين صفحاتهما ٣٢٠ و٢٦٤ من القطع الكبير

التزمت طبعه وزارة المعارف بمطبعة دار الكتب المصرية بمصر

وقام بتصحيحه احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابيارى

احسنت وزارة المعارف فى طبع هذا الديوان . ومقام حافظ فى الشعر لم يكن عظيما . وشعره متوسط الاجادة ليس فيه ابتداع او انحراف عن تقاليد الشعر العربى . ولكن اعظم ما يمتاز به أنه كان وطنيا بل ديمقراطيا وهو هنا النقيض لشوقى . فان شوقى كان مجيدا مبتدعا فى الشعر . ولكنه لم يكن يعطف على الحركة الوطنية . وكان ولاؤه للاتراك والخديو اكبر من ولائه للشعب المصرى

وقد احسن الاستاذ احمد امين فى قوله عن حافظ فى المقدمة

«كان أبوه «ابراهيم فهمى» مصريا صميما ، وكانت امه «هانم بنت احمد البورصةلى» من اسرة تركية الاصل ، تسكن «المغربلين» تعرف باسرة الصروان ، اذ كان والدها امين الصرة فى الحج ، فلقب بالصروان القيم على (الصرة) ولقبت الاسرة به

«ومع ان الدم التركى كان يجرى فى عروقه كالدم المصرى ، لم يترنم بمدح الترك ترنمه بمدح مصر والعرب ، ولم يشد بذكر الاتراك اشادة (شوقى) بهم ، لان ما كان فى (شوقى) دم تركى ارستقراطى وما فى حافظ دم تركى ديمقراطى ، ولأن تركية شوقى غذتها بيئة القصور التى ولد ببابها ، وعاش فى أكنافها ، وتنفس فى جوها ، وتركية حافظ غلبتها حياته البائسة ، وعيشه فى اوساط الجماهير ، واندماجه فى غمار الناس ، يعيش عيشتهم ، ويحيا حياتهم ، فماتت عصبيته التركية الا نادرا ، فكان شوقى اذ شعر فى الترك وحروبهم والخلافة وشؤونهما شعرت انه يتحدث عن قومه ، يفخر بنصرهم ، ويعتز بعزهم ! ويراعى العلاقة القوية بين عابدين ويلدز ، وبين الخديوى والخليفة ، واذا شعر حافظ فى ذلك لم تر عصبية جنسية ، انما هى عصبيـة دينية ووطنية ! فهو يفخر بنصرة الترك ، لأنها نصرة للاسلام ، ويخشى على الخلافة لأن فى ضعفها ضعفا لدينه . وفى النيل منها نيلا من وطنه»

وكان يحسن القائمون بالطبع لو انهم اثبتوا الخطب التى القيت فى الاحتفال بذكرى حافظ فى دار الاوبرا فى ٧ مارس من هذا العام . على ان المقدمة التى كتبها الاستاذ احمد أمين وافية مدروسة منصفة

قلب غانية وقصص اخرى

لمحمود تيمور صفحاته ٢١٥ من القطع المتوسط

طبع بمطبعة الصاوى بمصر

سيجد الذين قرأوا قصص الحاج شلبى وابو على عامل ارتست والشيخ عفا الله متعة أخرى فى هذا المجلد . وهو مجموعة قصص مختلفه يجيد فيها المؤلف المواقف السيكلوجية والحوار الممتع . وقد اثبت فى هذا المجلد مقاله عن حافظ ابراهيم وقيمته القصصية . ومن أحسن ما قاله هنا عن كتاب سطيح الذى الفه حافظ قوله :

«ولما كان المويلحى قد اختار بطله من بين شخصيات العرب الروائية أراد حافظ أن يحذ وحذوه فى اختيار البطل الذى سمى به كتابه . فعاد الى عصر الجاهلية يبحث بين دفائنه . فعثر على كاهن صالح من العرافين يدعى سطيح هو أقرب الى شخصيات الأساطير منه إلى الشخصيات الحقيقية

اسمه ربيع بن ربيعة الذيبي أو الذئبي . ولقب بسطيح لأنه كان سطيحا أى لا عظم له . لا يستطيع الوقوف أو المشي فاذا ارادوا نقله طووه على الحصير . ولم يكن له رأس ولا عنق ، ولكن وجهه فى صدره . وقد تكهن بفتح الحبشة اليمن وبظهور الاسلام . ويقال انه مات فى السنة التى ولد فيها النبي . وولد فى السنة التى انهار فيها سد مأرب عند ما طغى عليه سيل العرم . أى عمر نحو ستمائة سنة . ومن الفائدة ان نأتى بمثال من كلامه . فقد ذهب اليه عبدالمسيح بن عمر والغستاني من قبل ملك الفرس ليستطلعه رأيه فيما وقع لكسري يوم ولادة النبي من خمود النيران وارتجاج الأيوان . فلما رآه سطيح وكان يلفظ نفسه الاخير قال . « عبد المسيح ، على جمل مشيح ، وافى إلى سطيح ، وقد أشفى على الضريح . بعثك ملك ساسان ، لارتجاس الايوان وخمود النيران الخ » وهذا الأسلوب يدلنا على أنه من وضع المتأخرين تقليداً لسجع الكهان . إذ ليس فيه من بلاغة الجاهلية شيء .

«وقد وجدنا حافظاً ينطق سطيحه فى كتابه بهذا السجع ولكن فى ألفاظ منتقاة وأسلوب حسن .

«ونحن إذا القينا نظرة اجمالية على هذا الكتاب وجدناه قد جمع بين دفتيه الكثير مما كانت تتحدث به الصحف عن شخصيات ذلك العصر وما تعالجه من الموضوعات الشائعة فى ذلك العهد فهو سجل مهم يمثل لنا مظهرا من حياة مصر فى حقبة من تاريخها . وهو يمثل فى الوقت نفسه جانبا من حياة حافظ ونفسيته . فقد كتبه فى الفترة التى تلت خروجه من الجيش وعودته من السودان على أثر اتهامه بالاشتراك فى الحركة الثورية التى يسميها فى كتابه بحادث الذخيرة . وقد وقع هذا الحادث فى الجيش المصرى بعد اخماد الثورة المهدية واستعادة السودان . هذه الفترة من حياة حافظ التى تلت خروجه من الجيش عانى فيها من شظف العيش الشيء الكثير . فرأيناه فى كتابه موتورا ساخطاً على الحياة ناقما على انحلال الاخلاق قاسياً فى الحكم على أهل وطنه شديد الوطأة على المحتلين وأعوانهم ، يملأ اليأس فراغ قلبه فلا يجد أمامه ملجأ يحتمى فيه غير الفضيلة والدين . فظهر بمظهر المصلح الحكيم ينثر المواعظ والحكم فى سخاء كبير . هذا الجانب من حياة حافظ ، وهو جانب الرجل الناقم والمصلح الواعظ ، نجده واضحاً فى شعره أيضا . ويكاد يكون لكل موضوع عالجه فى كتاب سطيح نظير له فى منظوماته . ولكن ديوانه أوسع مدى فقد تناول جوانب أخرى من حياته لا تجدها فى سطيح كغرامه بالشراب . أما الحب فلم يفصح حافظ عنه لا فى سطيحه ولا فى ديوانه . والظاهر أن حياته كانت خالية من المغامرات الغرامية . أو أنه لم يتأثر بالحب الى الحد الذي يدفعه للتعبير عنه نظما أو نثراً »

أحاديث جديدة

تأليف عزيز خانكي بك صفحاته ١٥٢
من القطع الكبير طبع بالمطبعة العصرية بمصر

القاريء لكتب عزيز خانكي بك يشعر بذكاء المؤلف وسعة معارفه القانونية والاقتصادية ورغبته فى الاصلاح . وهو يفكر بأسلوب أوربى بل باسترشاد الثقافة الأوربية . وفى هذا المجلد ٢١ رسالة يجدر بالمشتغلين بالشئون العامة أن يقرأوها بل يدرسوها . فهو يتحدث عن الاصلاح الزراعي فى ايطاليا . وعن دين الجزية . وعن ترقية الفلاح من الناحية الاجتماعية . وعن مناهج التعليم . وعن اللغة التركية الخ . وهو حين يكتب يمتعين بذكريات عمر طويل نرجو أن يبلغ المائة ليزيد فى كشف مخبآت الماضى . وعطفه على المساكين والبائسين هو عطف مقرون بذكاء كما ترى فى كلمته هذه

«الفلاح الذى لا يملك إلا فداناً . والمزارع الذى لا يزيد ايراده اليومى على خمسة قروش . والصانع والعامل والتاجر الذي لا يزيد ايرادهم فى الشهر على جنيهين أو ثلاثة يدفعون أجور السكك الحديدية من عرق جبينهم خصما من قوتهم وقوت عيالهم وخصما من قيمة كسائهم وكساء عيالهم والأغنياء والكبراء والعظماء والوزراء والسفراء والعلماء والموسرون وكبار الموظفين والنواب والشيوخ الذين يزيد دخلهم على ثلاثة آلاف جنيه أو أربعة أو خمسة أو عشرين الف جنيه فى السنة يتمتعون بامتياز السفر على خطوط السكك الحديدية مجاناً لوجه الله الكريم وعلى حساب الفلاح المسكين . اليس هذا تصرفاً مثيراً للعواطف ؟ كيف يباح فى هذه الأيام العصيبة للأغنياء والكبراء والعظماء والسفراء والوزراء السفر مجاناً لتمكينهم من اقتصاد جنيه أوجنيهين والفقير الذي يحتاج الى قرش واحد لقوته وقوت عياله يجبر على السفر بالاجرة . أليس هذا من مخزيات الأمور ؟؟

«وليت الأمر قاصراً على « التبرع » لهؤلاء العظماء والكبراء والعلماء والسفراء والوزراء والنواب والشيوخ بالسفر مجاناً بل ان لبعضهم الحق فى أن يحجز ديواناً خاصاً به وحده كأن جلوسه مع باقى أفراد الامة المساوين له فى الدرجة والاعتبار (وربما كانوا أحسن منه) يعد ــ فى نظره ــ حطاً من مقامه»

كتب انجليزية عن جزيرة العرب

طلب الينا بعض القراء أن نذكر أسماء بعض الكتب المهمة عن جزيرة العرب في اللغة الانجليزية . والذي نعرفه منها هو :

Doughty : Arabia Deserta

Lawrence : The Seven Pillars

Philby : Arabia Felix

Thomas : The Empty Quarter

Burton : Pilgrimage to Mecca and Medina

Kiernan : The Unveiling of Arabia



في الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

تأخرنا فى التفكير الاجتماعى

حدث فى جلسة أخيرة لمجلس الشيوخ أن اقترح الشيخ المحترم عزيز اباظه منع هجرة الفلاحين من الريف الى المدن محتجا بان الايدى العامله قد قلت فى الريف . وكأنه قد نسى أن البلاد متجهة الى انشاء الصناعات الحديثة فى المدن وان المصانع سوف تجذب عمال الريف وأن من حق هذه المصانع ان تحصل أيضا على الايدى العاملة التى يريد الشيخ المحترم حبسها على الريف . وأن مصلحة الوطن تقتضى الرقى الصناعى كما تقتضى الرقى الزراعى

واسنا ندرى كيف يراد منع الهجرة هل تكون بقانون يقيد الفلاح بقريته كالقوانين التى كان يصدرها أمبراطرة الدولة البرلمانية أم يراد ترقية القرية وبعث النشاط الاقتصادي فيها حتى يرتاح الفلاحون الى العيش فيها ولا يفكروا فى هجرانها الى المدينة . فان كان المقصود هو الاول فأقل ما يقال فى هذا الاقتراح انه لا يطابق روح العصر روح الحرية وتقرير المصير للفرد والامة . فأن الفلاح يجب ان يكون حرا فى اختيار المعيشة التى يريد أن يعيشها ريفية ام مدنية كما يجب أن يكون حرا فى اختيار المكان الذى يعيش فيه . اما اذا كان الثانى فاننا نوافق عليه . ولكن ترقية القرية المصرية لا يكفيها الوقت القصير اذ هى من الانحطاط والتدهور بحيث تحتاج الى الدهر الطويل قبل أن تتغلب فيها عوامل الاستقرار على عوامل الهجرة عند الفلاحين

وأعظم ما يدلنا على تأخرنا فى ميدان التفكير الاجتماعى هو الكلام عن القرية . فانه يبدو لنا بدائيا فى كثير من الأوقات كأن الذين يعالجون هذا الموضوع لا يعرفون شيئا بتاتا عن الاصلاحات الاجتماعية الحديثة . بل هو أحياناً يخلو من العطف أو هو يتسم بجمود من ناحية الفلاح كأنه ليس له الحق فى أن يعيش فى غرفة لها نافذة أو فى منزل له مرحاض ولا نقول أنه يجب أن ينام على سرير وأن تضاء غرفته بالمصابيح الكهربائية وأن يلبس حذاءين . لان مثل هذا الكلام يشبه أن يكون مارستانياً فى نظر العقلاء الذين يتمتعون بجهل تام عن الاصلاحات الاجتماعية الحديثة

ومن قبل سمعنا عن مقترحات تدل على أن الذين قدموها لم يدرسوها ولم تشرب نفوسهم

روح العصر . فقد سمعنا عن اقتراح ملابس خاصة تلبسها نساؤنا ويحدد فيها مقدار ما يتعرى من الساقين والذراعين . وسمعنا عن اقتراح عضو فى برلمان سابق يقضى بمنح جميع أقارب الزوجة حق قتلها اذا ارتكبت جريمة الزنا . كأن هؤلاء الاقارب قد استحال كل منهم الى وكيل نيابة وقاض وجلاد فى وقت معا . وكأننا يجب أن نعفى المحاكم من النظر فى قضايا الزنا لان الجمهور سيقضى حقه فيها بنفسه . وفى وقت ما سمعنا القائلين بضرورة تعليم الدين فى الجامعة المصرية . بل أحيانا يهبط عليك أحدهم وكأنه انحدر فجأة من القرون المظلمة لكى يقنعك بان الخمر حرام والحشيش حلال. والاولى تقودك إلى جهنم أما الثانى فلا يقفل فى وجهك باب الجنة المنشودة للصالحين

وليس شك فى ان الكفاح الذى انصرفت اليه الامة لتحقيق الاستقلال استغرق تفكير الافراد فجهلنا لهذا السبب الاراء الاصلاحية وانفصلنا عن روح العصر ولم ينشأ بيننا اولئك الاحرار أو الاريحيون الذين غرسوا فى اوربا غرس التفكير الاجتماعى الحديث . ومنعنا هذا الكفاح من أن يساير العالم المتمدن فى آرائه وخططه عن العمال والتعليم والحرية الدينية

ومما يدل القارىء على مقدار تأخرنا فى هذا الميدان الاجتماعى الاصلاحى اننا فى الوقت الذي فكرنا فيه بلون من البر هو انشاء الملاجىء للايتام والعجزة والمتسولين الغت فيه بريطانيا على يد رئيس وزارتها الحاضرة المستر نفيل تشمبرلين — حين كان وزيراً للصحة — هذه الملاجىء لأنها أصبحت فى نظر الانجليز منافية لروح العصر لا تؤدى مهمة البر الذى انشئت له واستبدلت منها الاعانة المالية الخارجية التى يتسلمها المحتاج وهو فى بيته حر فى عيشه . فان الملجأ مع كل ما يقال عنه من الفضائل لا يعدو أن يكون سجنا يقيد حرية اللاجئين الذين لا يستحق أحدهم عقوبة . ولو كنا نساير روح العصر ونفكر فى البر على أسلوب سنة ١٩٣٧ لما رضينا بأقامة ملجأ واحد للعجزة والمتسولين إذ كنا نفكر فى طريقة لاعانتهم وهم أحرار فى بيوتهم أو عند ذويهم

ويمكن حكومتنا أن تطلب من المفوضيات والقنصليات تقارير مفصلة عن الاصلاحات الاجتماعية فى الاقطار المتمدنة . فان هناك من البر المجسم المنظم ما لو عرفناه لعلمنا مقدار تأخرنا العظيم وانحرافنا عن السبيل القويم للاصلاح

التربية السياسية للوزراء الانجليز

قلما يصل الى رتبة الوزارة فى بريطانيا أحد إلا إذا كان من الافذاذ الذين وثق الجمهور بتبريزهم وانضوى اليهم فريق كبير من الحزب الذي ينتمون اليه وعطف عليهم أيضا جمهور من المعارضين . وقد يستغرب القارىء هذا الشرط الاخير وهو عطف المعارضين . ولكن المعارضة البريطانية تقوم على تقاليد تاريخية ولها حرمة وكرامة وأعضاؤها لا يجادلون جدال المكابرة أو البذاء . وهم كثيراً ما يقف أحدهم لامتداح الحكومة أو أحد أعضائها اعترافا بفضل معين أو مأثرة مشكورة ورئيس المعارضين فى مجلس العموم يتناول مرتباً من الحكومة

والمستر نفيل تشمبرلن رئيس الوزارة الجديد يحظى بأكثرية عظيمة وبمعارضة رشيدة وهو ابن جوزيف تشمبرلن الذى كان من زعماء المحافظين . والذى بدأ حياته السياسية بشعار « خمسة فدادين وبقرة » وكان يعنى أنه يجب احياء الزراعة بمنح كل فلاح هذا المقدار من الارض مع بقرة . ثم ترك الاحرار بشأن استقلال ارلندا وعارض جلادستون وانشأ حزب الاتحاديين أي القائلين باتحاد ارلندا وبريطانيا

وقد نشأ نفيل تشمبرلن (الابن) تحت ظل أبيه . وهو الآن محافظ . ولكن محافظته أقرب الأشياء الي مبادىء الحربين بل الاشتراكيين . ذلك أننا اذا اعتبرنا المبادىء دون الأسماء لا نكاد نجيز لأنفسنا أن نقول ان فى بريطانيا الآن حزباً محافظا لأن مبادىء هذا الحزب قد استحالت الى مبادىء معتدلة من مذهبي الاشتراكيين والحربيين

وهذه الامبراطورية البريطانية التى تمتد أطرافها الى أنحاء العالم هى المدرسة الكبرى لتربية السياسيين الانجليز . فان افاق الذهن تتسع باتساع الامبراطورية . والسياسى الانجليزى الذى يدرس المسائل الهندية والعلاقات التجارية بين المستعمرات المستقلة والمواد الخامة التى تحتاج اليها الصناعات الانجليزية ومشاكل العمال والضرائب والقوات الحربية يضطر الى أن يدرس أحوال الدنيا كلها لأن لهذه المسائل البريطانية البحتة مضاعفات عالمية . بل نستطيع أن نقول انه لهذا السبب يعد القارىء الانجليزي لصحف الانجليزية من أعظم القراء استنارة فى المسائل العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . فان صحفه التى تعنى بحوادث الامبراطورية تجره منها الى

بحث الحوادث العالمية لأن الامبراطورية ـ كما قلنا ـ تنبسط فى أنحاء العالم وتشتبك به فلا يمكن درس مسائلها الا بدرس مسائل العالم كله

لا بل أن اتساع هذه الامبراطورية يتيح لأبنائها أيضا التطواف فيها والاتجار مع أقطارها والاقامة فى بعضها فترة من العمر . وكل هذا يزيد الاختبارات الشخصية وينضج الكفاية السياسية وهذا الرئيس الجديد نفيل تشمبرلن قد قضى من عمره سبع سنوات فى جزر باهاما وهى الجزر التى هبطها كولومبوس لاول بلوغه القارة الامريكية . وقد عرف فيها تشمبرلن وسطا بعيداعن الاوساط الانجليزية حيث الزنوج يعملون فى زراعة الذرة والدخان والقصب والقطن والقمح

والساسة الانجليز غرام بالالعاب التى تستبقى نشاطهم وتجعلهم شبانا فى سن الستين أو السبعين ولبعضهم غرام بصيد السمك . ومن أحسن الكتب فى هذا الموضوع كتاب وضعه اللورد جراى وزير الخارجية البريطانية أيام الحرب الكبرى

وصيد السمك بالسنارة من اليق الرياضات للسياسى . فان الذهن المتعب يجد فيه الراحة والخلوة ويمكن العقل الباطن أن ينشط فى هذه الفرصة فتستطرد الخواطر فى شأن مسألة معقدة لا تنجع فيها المجادلات البرلمانية أو الصحفية . والانفراد ضرورة لكل من يعمل بذهنه لانه يتيح له حضانة المسألة المعقدة كما تحضن الدجاجة بيضها . فيستعين المفكر على حل ما استصعب منها بالخواطر العفوية التى تطفو بلا مشقة الى العقل الظاهر . ومثل هذه الخواطر لا تجد المجال فى زحام المجالس وضوضائها . ولا بد أن كثيرا من القرارات الخطيرة التى وصل اليها نفيل تشمبرلن حين كان وزيرا للصحة ثم وزيرا للمالية كان عقب حضانة طويلة على حافة الماء فى صيد السمك

ومثل هذا الانفراد نجده عند غاندى الذى يصوم عن الكلام يوما فى الاسبوع فان غاندى هنا يستخدم هذا الصمت لمثل الغرض الذى يقصد اليه نفيل تشمبرلن من صيد السمك أى حضانة ذهنية يشترك فيها العقل الظاهر والعقل فى الباطن فى حل معضلة شاقة

اعباؤنا المالية القادمة

ليس شك فى ان الأعباء المالية القادمة ستكون متعددة وثقيلة . فاننا لا يمكننا ونحن أمة مستقلة أن نعيش كما كنا نعيش مدة الاحتلال البريطانى بلا قوات حربية وبلا برامج اجتماعية متوالية وبلا تعليم عام راق . وكل هذه تكاليف باهظة تنوء بها اذا لم نفكر فى الطرق الجديدة

النهوض بها . وصحيح أننا نستطيع أن نقتصد مقداراً من المال بالغاء مؤسسات الترف التي ورطنا فيها المستبدون لغايات مخبوءة ووثبات مقدرة . ولكن هذا المال المقتصد لن يكون عظيما . وإذن لا بد من التفكير في طرق أخرى للاقتصاد حتى بعد التخلص من مؤسسات الترف

وليس كذلك من السداد أن نعتمد على الضرائب وأن نستكثر منها اقتداء بالأمم الاوربية فان موارد هذه الأمم كبيرة جدا وتقدمها الصناعي قد وفر لها المال ولذلك يمكن حكومتها أن تعتمد على الضرائب الثقيلة التي يتحملها الافراد أو الشركات . ولكن الحال ليست كذلك في مصر فان أمتنا فقيرة بل غاية في الفقر . وحسبنا للمقابلة أن نعرف ان إيرادات المجلس البلدي في مدينة لندن وحدها تزيد على إيرادات الدولة المصرية كلها

وهذا التأخر الصناعي الذي نعانيه والذي هو العلة الأساسية لفقرنا يجب أن نجد فيه الفرصة لزيادة موارد الدولة وذلك بأن نجعل الحكومة تقوم باحتكار بعض الصناعات .وهذا الاحتكار صعب في أوربا سهل في مصر . لان هناك قد تأسست الصناعات . وهي الآن ملك خالص للأفراد أو الشركات فلا يمكن نزعها منهم الا بجهود وبعد مقاومة

أما في مصر حيث بعض الصناعات لا تزال مجهولة ليس لها مصانع فانه يمكن الحكومة أن تقوم بنفسها بانشائها وتملكها وتحتكر الانتاج منها . وبذلك تجد المورد الذي يغنيها عن فرض الضرائب الثقيلة كما تجد الرضى العام من جميع السكان وهي في هذا العمل تتمشى مع روح العصر الذي يقضي باحتكار الدولة لبعض الصناعات

ونستطيع أن نضرب الأمثال بامم مختلفة . ولكنا نقنع بالامة اليونانية . فان إيرادات الدولة هناك تبلغ نحو ٣٢ مليون جنيه أي أنها تقرب من ايرادات الدولة المصرية . ومع ذلك أنفق اليونانيون نحو ١٢ مليون جنيه على القوات الحربية في العام الماضي بانواعها الثلاثة البرية والبحرية والجوية أي أكثر من ثلث الميزانية .ولهذه الدولة أربعون قطعة بحرية . ومعذلك لا يزيد السكان على سبعة ملايين ونصف مليون أي أقل من نصف سكان مصر . فكيف أستطاعوا أن يجعلوا ميزانيتهم تقارب ميزانيتنا ؟

يجب أن نسلم أنهم استطاعوا ذلك أولا بالضرائب الثقيلة . ولكن يجب أن نسلم أيضا أن الضرائب ليست كل شيء في ايرادات الدولة . بل الواقع أن الحكومة اليونانية لو كانت قداعتمدت في جمع إيراداتها على الضرائب فقط لما استطاعت ذلك ولهب الجمهور في وجهها بالثورة

ولكن الحكومة هناك احتكرت بعض الصناعات أو هي بكلمة أدق احتكرت الاتجار بثلاثة أصناف هي الدخان والزبيب والزيوت . فلا يمكن أحداخارج اليونان أن يشتري الزبيب أوالزيوت

أو الدخان الا من الحكومة اليونانية التي تتولى تصدير هذه الاصناف وتحتكرها وتستولى على أرباحها دون الافراد أو الشركات وبهذه الطريقة استطاعت الحكومة أن تجعل ايراداتها تبلغ ٣٢ مليون جنيه

وقد قلنا ان الضرائب ثقيلة في يونان وهي أثقل مما يتخيله القارىء . فان رغيف الخبز لا يباع هناك إلا إذا كان مختوما بخاتم الحكومة . ولكن هذه الضرائب على تعددها وثقلها ما كانت لتقوم بأعباء الدولة لولا احتكار الزيوت والزبيب والدخان

وليست يونان شاذة في هذا الاحتكار . فان حكومة إيران تحتكر جميع الصادرات الايرانية وحكومة فرنسا تحتكر كثيراً من الصناعات وكان آخر احتكاراتها هذا الاستيلاء على المصانع الحربية . أما حكومة أسوج فانها زيادة على إحتكارات مختلفة تقاسم الشركات الكبرى في مصانعها تأسيساً وأرباحا بل لقد بلغ بها النزوع الى الاتجار انها تؤسس الحانات وتعين الموظفين لبيع الخمور للزبائن وهذا زيادة على مالها من مصانع الخمور التي تحتكرها أو تشترك مع أصحابها في تأسيسها وأرباحها

ويمكن حكومتنا أن تفكر في لونين من الاحتكار . الاول هو احتكار التصدير لبعض المحصولات مثل القطن أو غيره . والثاني هو تأسيس المصانع للصناعات التي لم نعرفها الى الآن مثل الكوتشوك للاحذية وأطارات الأتومبيلات والابسطة . ومثل السردين المحفوظ الخ

فان قيام الحكومة المصرية بهذه الاعمال لا يثير عليها سخطا لانه ليس في مصر من يقوم بها ثم هو يزيد ايرادات الدولة ويغنيها عن فرض الضرائب الثقيلة

الرهبانية والديورة القبطية

قرأت كتابا صغيرا يسمى «البرهان المحسوس ضد الرهبنة والقسوس» يحسن بكل قبطي مشغول باصلاح الكنيسة ان يقرأه . فان مؤلفه كان راهبا قضى نحو خمس عشرة سنة في الديورة القبطية ثم عين قسيسا في حلفا . وهو الآن يصنع نبيذ «الاباركة» ويبيعه في شارع الفجالة ولا يضع على رأسه سوى القبعة . فهو لم ينسلخ من الرهبانية والقسوسية بل انسلخ من الشرق كله

والمؤلف يذكرني بجوزيف ماكيب . وهو راهب انجليزي ، قضى في دير كاثوليكي نحو عشر سنوات ثم تركه والتحق بجمعية العقليين الانجليزية ينشر مؤلفات داروين وسائر الكتب التي تنقض العقائد الدينيه . ولكن مؤلفنا الحاضر وهو عبد المسيح افندي البرموسي لايزال مسيحيا تقيا . وكل ما فيه أنه يكره الحياة التي يمارسها الرهبان ويقول بالغائها او قصرها على عدد صغير من الرهبان الذين يمكن الكنيسة ان تنتفع بهم

ويصف المؤلف ثقافة الرهبان بأنها مقصورة على درس كتاب « بستان الرهبان » وقد اقتبس منه فقرات تدل على سخف عظيم . وما زاد على هذا الكتاب هو على حد قوله « والى اليوم نجد الرهبان مقضيا عليهم بان يصرفوا حياتهم داخل سور سميك يبلغ ارتفاعه عشرة امتار كانه سجن المجرمين . والا يأكلوا من الاطعمة غير العدس والفول والا يتلقوا من العلوم غير طحن الغلال وعجنها وطهي البقول وحرث الارض وبذرها وكنس الاماكن ورشها »

ويصف المؤلف حوادث وقعت في الديورة عاينها أو سمع عنها . فهو يحدثنا عن راهب في دير الأنبا صموئيل بقوله :

«أعرف راهبا كان يدعى يعقوب وهو شاب لا يتجاوز التاسعة عشر من قرية تدعى برتماط الجبل في الفيوم ترك الدير بسبب ما لقيه من ظلم رئيسه وذهب الى دير البراموس . ثم وقع خلاف بينه وبين ربيتة الدير الذى يستمد سلطانه من مطران الاسكندرية صاحب القوة الباطشة فأمر بطرد الراهب فخرج هائما على وجهه في يوم قائظ فمات . ولبثت الجثة ثلاثة ايام الى ان علم بامره الربيتة فذهب مع بعض الرهبان وحملوا الجثة ودفنوها في دير السريان .. وأعرف راهبا ثالثا اسمه متى يبيع الجنبري الآن على قهوات مصر »

وقد التحق المؤلف بدير المحرق وهو يصفه أسوأ الوصف ويقول عنه « وقد ترك الرهبنة من هذا الدير ٣٢ راهبا .. وقد تركوها بعد ما تبينوا انهم كانوا على ضلال عندما اعتنقوها »

ثم يصف دير البراموس فيقول ان « ناظر هذا الدير هو مطران الاسكندرية (البطرك الحاضر) ومعاملته للرهبان سيئة لا توصف . فانه يعاملهم باقل مما يعامل به الانسان حيوانه . ومن اعمال المطران انه غضب على القمص مكسيموس فامر بجلده بالجريد بعد ما كشفوا عن ظهره وعروه من جميع ملابسه . ومرة جرت مناقشه بين المطران وبين كاتب هذه السطور فغضب المطران فقلت له : لماذا تغضب على باطلا ؟ مر بتحقيق المسألة . فما كدت انطق بهذه الكلمة حتى هاج غضبه وقال

«هل الاديرة محلات تحقيق يا ابن ...» وأخذ يضربني بجريدة كانت في يده

ثم يقول « ولا يقل ايراد هذا الدير عن ٢٠٠٠ جنيه يعطى منها ١٥ قرشا شهريا لكل راهب من رهبانه الثلاثة

وهنا انقل قصة مخزية وهي قوله عن دير أنبا بشوى

«اما الحادثة التي اشرت اليها فتفصيلها انه كان بالدير راهب شيخ يدعى القمص مقار قضى حياته في الرهبنة والظاهر أنه قدم شكوى سرية لغبطة البطريرك ضد بعض رؤساء الأديرة متهما اياهم بالسرقة واللصوصية فدرى القمص بطرس رئيس الدير بهذه الشكوي فاراد ان ينتقم منه وقام ليلا هو واثنان من الرهبان واوثقوه ثم انهالوا عليه ضربا حتى تورم جسمه وأخرجوه ليلا من الدير فجاء الراهب الى مصر يشكو أمره الى البطريرك فلم يسمح له وقال له اذهب الى مطران الاسكندرية

«وفي اثناء عودته صادفه رجل من رجال البوليس ورأى الدم سائلا على ملابسه فاشتبه في امره وأمسك به وقدمه الى الجهة الاختصاص فحكى قصته فقرر له الطبيب الرسمي مدة للعلاج ورفعت دعوى جنحة على الذين اعتدوا عليه . وبعد اجراء التحقيق حكم على رئيس الدير ومن معه بالحبس ثلاثة شهور مع ايقاف التنفيذ . فاستأنفوا هذا الحكم . وكان مطران الاسكندرية ينفق المال بسخاء حيث وكل عن الرهبان محاميا دفع له ٧٠ جنيها اتعابا . ولكن بالرغم من مساعي المطران ومرافعة المحامين ظهر الحق وزهق الباطل . اذ رأت محكمة الجنايات ان التهمة ثابتة وان الحكم الابتدائي خفيف جدا فحكمت عليهم بالسجن ثلاث سنوات مع التنفيذ . وبعد ما قضوا مدة في السجن صدر عفو كريم عنهم . فأمر مطران الاسكندرية واعاد القمص بطرس الى رياسة الدير بعد ما حكم بحرم القمص مقار المجني عليه . وقد ترك الرهبنة من هذا الدير ١٦ راهبا »

ويسير المؤلف على هذه الوتيرة بذكر الدير وما يملكه من ثروة وكيف يعيش الرهبان في فقر مدقع لا يكادون يشبعون ولا يجدون غير المخف يتعلمونه في كتب حافلة بالأساطير وهذا الى مجهود يضنيهم في الزراعة وعجن الدقيق وكنس الدير . وفي اخر الكتاب جدول قد ملأ تسع صفحات باسماء الرهبان الذين تركوا الديورة بعد أن عرفوا أن رجاءهم فيها لم يكن حقا

وأخيرا يقول المؤلف هذه الكلمة المؤلمة

«ومن الغريب ان هذا الشعب القبطي الذي يوجد به الآن عدد غير قليل من المحامين والاطباء

والمهندسين والكتاب واصحاب العلم والفهم والذكاء والنفوذ والثروة ما زل يخضع باستسلام وخنوع واستكانة لا مثيل لها لرياسات دينية بينهما وبينه فرق كبيرفى التربية بحيث لا تعرف احتياجاته ولا تفهم مطالبه ورغباته وكثيرا ما تجنى هذه الرياسه عليه وتضرمصالحه الجوهرية»

ولا يستغرب من المؤلف بعد ان عاش فى الديورة ورأى فيها ما ذكر بعضه فى كتابه هذا أن يترك الرهبانية وينزع القلنسوة لكى يتخذ بدلا منها القبعة ويتجر بالخمور لكى يكسب عيشا شريفا بعرق جبينه

على ذكر وفاة روكفيلر

مات هذا الاسبوع المليونى العظيم جون روكفيلر بعد أن قارب المائة وبعد أن ترك العمل واعتكف فى بيت بالريف كأنه الصومعة . وقد مضى عليه نحو عشرين سنة وهو ينتظر الموت لا يمارس عملا ولا يؤدي خدمة سوى التبرع بأمواله المتراكمة للمؤسسات الخيرية . ولذلك فانه عندما مات لم تبلغ مخلفاته بضعة ملايين من الجنيهات مع أنه جمع فى حياته أكثر من ٤٠٠ مليون جنيه أنفق منها نحو نصفها على البر وترك فى حياته نحو النصف لابنه الذى يتولى ادارة ممتلكاته

واذا كان هناك فضل لروكفيلر فانه ليس لأنه جمع هذه الثروة الطائلة التى لم يجمع مثلها قط انسان . فانها جمعت على الرغم منه . فقد اتجر ببيع البترول واستنباطه وارتكب فى حياته جرائم حتى استطاع أن يقتل مزاحميه . وفى قطر ناشىء مثل الولايات المتحدة حيث يستنبط البترول ويستخدم لاغراض جديدة لا عهد للناس بها مثل الاتومبيلات والطائرات ، لم يكن يسع روكفيلر الذى عاش حتى رأى فى بلاده ٢٤ مليون أتومبيل تحرق البنزين المشتق من منابعه للبترول إلا أن يثري . وهذا الى أن أقطار العالم كله تقريبا تشترى منه هذا الوقود الجديد . ولعل القارىء المصرى لا يعرف أن فلاحينا الفقراء كانوا يقدمون لروكفيلر مقدارا من دخلهم الصغير ثمناً للبترول الذى يشعلون به مصابيحهم

وبكلمة موجزة نقول ان الدنيا كلها قد تآمرت على أن تجعل روكفيلر أغنى رجل فى العالم حين جعلت اختراع الاتومبيل يعاصر اكتشاف منابع البترول . واذن يجب أن نقول ان روكفلر لم يكن له أي فضل فى جمع هذه الثروة الضخمة

ولكن فضله العظيم يرجع الى تبرعاته والطرق التى اتبعها فى البر فانه ترك الرأى القديم فى التزام العرف بتوجيه البر نحو انشاء الكنائس . أو لعله وجد أن فى الولايات المتحدة من الكنائس ما يكفى السكان وان كثيرين من الرجال والنساء ينفقون عن سخاء فى بناء الكنائس . ولذلك اتبع لونا من البر يعد جديدا هو انشاء المؤسسات العلمية التى تخدم العلوم المختلفة . ويذكر القراء كيف أن واحدة من مؤسساته الخيرية اقترحت على حكومتنا قبل نحو عشر سنوات أن تقدم مليونين أو ثلاثة ملايين من الجنيهات لكى تنفق على كشف الآثار المصرية ودرسها . ولو قبلنا هذا العرض لكان لنا الحق فى أن نذكر الساعة التى عرض علينا فيها روكفيلر العرض السخى . ولكن مدير الآثار الفرنسى خشى على سلطان بلاده الثقافى فحمل حكومتنا على رفضه

ولكن مصر ليست خلوا مع ذلك من تبرعاته . فان فى ريفنا بعثات علمية تدرس البلهارسيا وعدوى الامراض بين الفلاحين . وهذا الى مؤسسات مختلفة فى أنحاء العالم لا تقل بل تزيد على مؤسساته فى بلادنا

وقد خرج روكفيلر عن مقدار كبير من ماله لايجاد هيئة استشارية من العلماء تقرر وجوه البر التى تنفق فيها أمواله . وهى التى قررت عرض بضعة ملايين على حكومتنا للقيام بالتنقيب عن اثار الفراعنة . ومؤسسات روكفيلر فى الولايات المتحدة كبيرة وكثيرة وجميعها فى خدمة العلوم ومنها المؤسسة العلمية التى يعرفها القراء من أعضائها الكسيس كاريل الذى نشر كتابا فى العام الماضى يدعو فيه الى ترقية النوع البشرى

وقد أحسن روكفيلر بهذا الابتداع فى البر . فان عصرنا الحاضر يقوم على العلوم ولا يمكن أمة أن تتقدم فيها زراعة او صناعة بل لا يتقدم اجتماعها ما لم يكن الأساس علمياً . فان مكافحة الأمراض وزيادة الرخاء بل التقدم الفنى يحتاج الى العلوم . والرجل الذى يجهل العلوم وقيمتها فى الرقى العصرى لا يمكنه أن يكون رجلا بارا . لأن جهله قد يجعله عقبة فى سبيل الرقى البشرى حتى حين تكون نياته حسنة لا يرغب فى غير الخير . وهذا هو خطر الجمود أو الرجعية . فان الرجعى قد يكون منطويا على أحسن النيات لأمته ولكنه لجهله بالعلوم يعود حجرا يعثرها فى طريق الرقى ويؤخرها . ومن هنا قيمة الآراء العصرية التى هى ثمرة الضغط للاكتشافات والاختراعات العلمية فان الرجعى حين يقاوم هذه الآراء يظن أنه يخدم وطنه أو دينه بهذه المقاومة . ولكنه لو كان على مقدار ضئيل من النظريات العلمية لما قاوم هذه الاراء

وأن مصر فى طورها الحاضر فى أشد الحاجة الى هذا البر الجديد أى خدمة العلوم وايجاد المؤسسات العلمية . فان فى بلادنا من المساجد والكنائس العدد العظيم الذى يكفى الناس . ولكنه

أفقر أمة فى المؤسسات العلمية أي هذه المؤسسات التى تبحث أصول الامراض وطرق الاهتداء الى علاجها أو تبحث الثروة المعدنية وكيفية استنباطها والانتفاع بها . واليوم الذى نجد فيه الرجل البار الذى يحبس ربع مائتى فدان على انشاء مكتبة أو تأسيس معمل للسيكلوجية التجريبية أو لتشريح الجهاز العصبى وبحث أمراضه أو نحو ذلك هو اليوم الذى نعرف فيه أن البر قد اتجه وجهة عصرية وأن الابرار المصريين قد عرفوا قيمة العلوم فى خدمة البشر

المخدرات وعصبة الامم

ذكرت التلغرافات ان المستر فولر مندوب الولايات المتحدة فى لجنة الأفيون فى عصبة الامم حمل على اليابان لأنها فى الوقت الذى تعاقب فيه بالاعدام أبناءها الذين يتناولون الافيون تجيز زراعته فى منشوريا التى استولت عليها كما استولت ايطاليا على الحبشة . وفى حين ان الحكومة الصينية قد منعت زراعة الافيون وعاقبت زارعه والمتجر فيه بل متناوله بالاعدام لاتزال هذه المادة المخدرة الملعونة تخرج من منشوريا وتدخل الصين وتباع لسكان المساكين . وهذا بالطبع غير مشتقاتها الجهنمية مثل المورفين والهيروفين . والحكومة الصينية عاجزة عن منع هؤلاء النخاسين الذين يتجرون بهذه المواد ويخرجون من منشوريا وهم تحت حماية اليابان الى الصين : بل ان هذه المواد تباع أيضا فى منشوريا التى دخلتها اليابان لكى تبسط عليها لواء الحضارة

وهذه القسوة التى تعامل بها اليابان هؤلاء الصينيين والمنشوريين المساكين هى بعض ما تعلمته من فنون الاستعمار والتوسع الامبراطورى . وعلى المتفلين من دعاة التقاليد الشرقية ان يفهموا ان أمم الشرق عدو بعضها لبعض . وان الامم الغربية ارحم بالصين من اليابان وان مندوبى هذه الامم يبحثون الطرق التى يمكن ان تنقذ بها الصين من نكبة الافيون ومشتقاته وهى النكبة التى تتعمد اليابان الهيئتها لها لكى تقتل فيها روح النشاط وتضعضع قوتها

وجميع الامم المتمدنة قد عرفت لونا من المسكرات . ولكنها هنا تنقسم قسمين . فان الامم غربية تتناول الخمور فى حين ان الامم الشرقية تتناول المخدرات . ولعل هذا الانفصال فى اختيار المواد المسكرة يدل على انفصال فى المزاج والنزعة . فان الغربيين نشطون متفززون بطبيعتهم فهم يحبون الخمر التى تتفق وهذه النزعة نزعة النشاط والتفزز

ولقد كان القواد في الحرب الكبرى يقدمون الخمور لجنودهم لكي يزددوا جراءة ونشاطا في القتال . اما الشرقيون فانهم خاملون وادعون وقد اختاروا هذه المخدرات كالحشيش والافيون لانها تتفق ونزعة الخمول والوداعة . بل نستطيع ان نزيد على ذلك وان نقول ان فلسفة الشرقيين قد انتهت الى النروانة التي قال بها بوذا وهي هذا السكون السعيد الذي يرغب فيه الشرقي وهي أيضا لباب الخمول . أما فلسفة الغربيين فقد انتهت الى الحركة الصناعية والحرب الجوية التي تمثل جنون النشاط والتحفز

ومن منا لا يحب أن يرى الخمور بين الشرقيين بدلا من أن يرى الحشيش والافيون ؟

وهنا قصة نظن أن الاستاذ عبد الحميد سعيد ينتفع بها . فقد كنت قبل سنين في مراكش وركبت بغلة ومعي دليل مراكشي على بغلة أخرى وخرجنا الى الجبال الغربية من طنجة نتفرج برؤيتها وما فيها من آثار رومانية قديمة . ونزلنا نستريح على أحد هذه الجبال بعد أن ربطنا البغلتين . ولكن بغلة دليلي فرت وقصت . فطلبت اليه أن ينهض لكي يمسكها . ولكنه أبى أن يتحرك وطلب الى أن أقوم أنا بنفسي واعدو وراءها لردها معتذرا عن قيامه هو بهذا العمل لأن « الحشيش قطع قلبي »

ولم أر مفرا من النزول على الحقائق وبعد نحو ساعة من التدوير والانجاد تمكنت من امساك البغلة ورددتها اليه وأنا ألعن الساعة التي فيها أذنت حكومة مراكش ببيع الحشيش للسكان بل هي احتكرت هذا البيع باعتقاد أنه لا يخالف الاسلام . وكم أسفت لأن المراكشيين لا يشربون الخمور بدلا من أن يأكلوا الافيون أو يدخنوا الحشيش! إذ لو أن دليلي كان يشرب الخمر لامتلأ نشاطا وهب وراء بغلته ليمسكها بدلا من أن يكلفني هذا الجهد وهو مأجور مني لخدمتي

ولكننا قد انسقنا الى هذا الاستطراد . فلنعد الى عصبة الأمم ولنقل أن من حسناتها انها وقفت الاتجار بالمخدرات الى حد ما . ولكن اليابان التي تركتها لا تبالي ان تسمم المنشوريين والصينيين بالأفيون والمورفين والهيروئين . ومن مصلحة العالم كله أن تعود اليابان الى عصبة الأمم حتى تمنع زراعة الافيون وتلغي الاتجار به

مؤسس عظيم لنشر الثقافة والاخلاق

احتفلت الجامعة الأمريكية فى الشهر الماضى حفلتها السنوية الخامسة عشر بتوزيع الاجازات الجامعية على الطلبة والطالبات . وقد ألقى مدير الجامعة الدكتور واطسون خطبة تكلم فيها عن قيمة المدرسة وموقف الطالب ازاء الوطن وكان حديثه موجها الى موقفنا الحاضر عقب المعاهدة وما هى الروح التى يجب أن تسود الامة عامة والشباب خاصة . وقدكان أمريكيا عمليا حيث قال أن هذه الروح يجب أن توجه على أيدى المدارس والكليات إلى مكافحة الأمراض القتالة وإلى توفير الماء النقى فى القرى وإلى انشاء المدارس الصحيحة فى الريف وإلى تأسيس المصانع وتطهير المدن من مهاوى الرذيلة ووقاية المدن من ازدحام المنازل الحقيرة وأكتظاظها بالسكان الفقراء وأنشاء الملاعب الفسيحة للاطفال والناشئين واخلاء الشوارع من المتسولين والاحداث المهملين وغرس المبادىء التى تبث روح التعاون بين أبناء الامة والنظر السليم ونية الخير نحو العالم

وهذه موضوعات نفخر بأننا لفتنا النظر اليها مرات كثيرة بل لعلنا كتبنا فيها إلى حد الاملال. واتجاه مدير الجامعة الامريكية الى هذه النواحى من الوطنية العملية ليس غريباً فان هذا الاتجاه هو بعض النزعات الامريكية التى تدعو الى العمل وتحقيق النتائج المثمرة لخير الوطن وتكف عن الكلام الكثير والزهو السخيف والتهليل والتصفيق

وأعظم ما نأسف عليه أن هذه الجامعة الامريكية لم تلق التأييد الذى تستحقه من أبناء البلاد فقد أثيرت حولها ضوضاء عن التبشير إذا كانت قد أضرتهـا فقد أضرتنا أيضا لانها كفت بعض الآباء عن أرسال ابنأئهم الى هذه الجامعة للانتفاع بهذه النزعات الامريكية العملية ، بل ربما كان أكبر الضرر من هـذه الضوضاء انها منعت الجامعة من التوسع . فقدكان فى نيتها أن تنشىء كلية للطب وأن تجمع لها من التبرعات ما لا يقل عن مائتى الف جنيه فى الولايات المتحدة. ومصرفى أمس الحاجة الى هذه الكلية . فان كثيرين من شبابنا يعجز عن الالتحاق بكلية الطب فى الجامعة المصرية . ويقوم آباؤهم بمجهود كبير لا رسالهم الى جامعات أوربا . فلوأن هذه الجامعة استطاعت أن تنشىء كلية للطب فى القاهرة لاغنت الاباء عن هذا المجهود

وفى بيروت جامعتان احداهما فرنسية والاخرى أمريكية وفى كل منهما كلية للطب الى جانب كليات أخرى للعلوم والادب والدين . وقد وضعت كل منهما أساساً للنهضة اللبنانية نرى نحن فى

مصر أثره فى هذا العدد الكبير من اللبنانيين الذين يعملون فى التجارة والصحافة بل فى المصالح الحكومية . ولو أن ضوضاء التبشير أثيرت حولها فى بيروت كما أثيرت حول الجامعة الامريكية فى القاهرة لما تعلم اللبنانيون ولما فازوا بالمركز العظيم الذى نالوه فى بلادنا . وهذا زيادة على أن قطر لبنان بفضل هاتين الجامعتين وبفضل عشرات المدارس التى أنشأتها البعثات الدينية الاجنبية ليس فيه أمى واحد بل الكل يقرأون والكل متعلمون . وليس شك فى أن لبنان من حيث الحضارة الحديثة وأعتناق الاراء العصرية أرقى الشعوب العربية جميعها . وهذا يرجع فى الاكثر الى الجامعة الامريكية وفى الاقل الى الجامعة الفرنسية

وعلى الرغم من كل ما قيل عن الجامعة الامريكية فى القاهرة قد أصبحنا جميعاً نعترف بانها غرس صالح . بل أن وزارة المعارف نفسها تنتفع بتجديداتها المتوالية فى التعليم . فهذه مجلتها النادرة فى التربية الحديثة . وهذه مدرستها للصحافة . وهذه قاعتها للمحاضرات العامة . وهذه بعثاتها من الطلبة للولايات المتحدة وغير هذا مما تحسن الوزارة عندنا أن تقوم بمثله وتقتدى فيه بالجامعة الامريكية

ولو أن مصر حظيت بجامعة أمريكية كتلك التى انشئت فى بيروت قبل نحو سبعين سنة لكان لنا منها طبقة مثقفة كتلك الطبقة التى يحظى بها لبنان الان والتى تورث له السيادة الثقافية على جميع الاقطار العربية وجعلت المهاجر اللبنانى يفوز بالسبق أينما نزل سواء فى مصر أم فى العراق أم فى الجزيرة العربية . ولكن خوفنا من التبشير قد نما وتضخم فى أذهاننا حتى صار « مركباً » نفسياً يعمينا عن مصالحنا الحقيقية . والنتيجة أننا نرسل أولادنا الى بيروت لكى يتعلموا فى جامعتها ويهاجر الينا الاطباء اللبنانيون لكى يمارسوا الطب فى عاصمة قطرنا وترفض كلية الطب المصرية قبول أبنائنا كما ترفض الجامعة الامريكية انشاء كلية الطب خشية أن تقام حولها ضوضاء جديدة عن التبشير

فهل نحن عقلاء ؟

الصوفية الوطنية الجديدة

اذا أردنا أن نعبر تعبيراً عامياً عن ماهية الصوفية قلنا أنها قدرة الصوفى على أن يرى من حقائق الدين مالا يراه غيره من المتدينين العاديين . فان الرجل المتدين العادى يؤمن بالله ويؤدى صلواته

فى مواعيدها ولكن الرجل الصوفى لا يؤمن بالله فقط بل هو يتصل به اتصالا حيا. وليس لصلواته مواعيد لان حبه لله يعلو حتى تغمر العبادة حياته

والمتأمل للدعوات الوطنية الحديثة يجد فيها شبها عظيما بالصوفية الدينية هذه الصوفية التى نراها على أوضحها فى الصهيونية اليهودية . فأن اليهودي هنا حين يتطلع الى ايجاد وطن قومى فى فلسطين لا يفكر فى المنافع المادية التى يمكنه أن يحققها بل هو ينظر الى التربة الفلسطينية كأنها التربة المقدسة ويرضى بترك عمله فى فرنسا أو ايطاليا أو بولونيا لكى يعيش عليها ولو قلت أرباحه . وقد أحيا اللغة العبرانية وتجشم الكلام بها على صعوبتها وترجم اليها الكتب الحديثة وأصدر بها الجرائد والمجلات وأنشأ جامعة عبرية وهو يناضل العرب كأنه فى حرب مقدسة . وقد أصبح تاريخ اليهود كأنه تاريخ الاولياء والانبياء . واليهودي يتبرع لاحياء هذا الوطن كما تتبرع النساء العجائز للكنائس

وقد حاول موسولينى أن يجعل الوطنية الايطالية صوفية رومانية ولكنه خاب فى هذه المحاولة . ولعل اكبر الاسباب لخيبته أنه وجه مجهوده الى خارج ايطاليا بدلا من أن يوجهه الى الارض الايطالية

ولكن المثل الاعلى للنجاح فى الصوفية الوطنية هو المانيا على الرغم من الصعاب التى تصطدم بها. فأن الصهيونيين من اليهود قد سهل عليهم أن يجعلوا وطنيتهم مزيجا من التاريخ القومى والتاريخ الدينى . لأن التوراه هى كذلك فى الاصل تاريخ اليهود وقواعد ديانتهم . فليس هناك تصادم بين الدين والوطن عند اليهود . ولذلك تعد الصهيونية حركة دينية وحركة قومية معا

وليست حال المانيا كذلك . ومن هنا هذا التصادم بين وطنيتها وديانتها الذى نسمع عنه هذه الأيام . فأن الكنيسة الكاثوليكية تعد نفسها كنيسة عالمية ويغضبها بالطبع أن تجد محاولة موفقة يقوم بها الالمان فى صبغ القومية الالمانية بالصبغة الدينية

والقائمون بهذه الدعوة الجديدة عظماء معروفون من رجال الحرب والدين والفلسفة . فأن المارشال لودندورف لا يفتأ يذكر الالمان بأنه كانت لهم قبل المسيحية أرباب المانية منها ثور وودين. وروزنبيرج لا يبالى أن ينتقد المسيحية . وهذا الى احياء الأعياد الوثنية القديمة التى تشبه «شم النسيم» عندنا . أما هتلر فقد تزعم حركة السلالة الآرية ودعا الى الاكبار من شأن الدم الالمانى وهو يربى الامة الالمانية تربية بيولوجية بتنقيتها من الدم الاجنبى . وهو ايضا ينظر الى التربة الالمانية نظرة الصهيونيين الى فلسطين . فالتربة الالمانية الان مقدسة لا يصح ان تذكر فى معرض الثمن والبيع . وقد ربطت الاسرة بالارض : وصار الميراث يؤول الى الابن الاكبر حتى لا تتمزق الارض وتباع ويهجرها اصحابها

والحملة التي يحملوها الالمان على اليهود تتفق ومنطق الوطنية الجديدة فان الوطنية ليست عند الالمان أرضا فقط وانما هي قومية قائمة على نقاوة الدم الارى . ولذلك لا يطيقون التسامح في الزواج بين اليهود والالمان. والغريب ان هذا الذي يشكوه اليهود من الالمان هو نفسه الذين يمارسونه في الحركة الصهيونيه في فلسطين ومغالاتهم في شراء أرضها . وهم لا يطيقون ان يتزوج العربي منهم أو ان يدخل في ديانتهم

ومن الصعب أن نتكهن بمستقبل هذه الصوفية الوطنية . ولكننا نرى مبرراتها ولعل أقواها أن الدعوة الى العالمية قد قويت بعوامل مختلفة منها ظهور الشيوعية في روسيا ومنها قيام عصبة الامم ومنها الزيادة والسرعة في المواصلات التي قربت البعيد بين الامم ومنها تعميم المخترعات السينمائية والاذاعية الخ . ومن الخير ازاء هذه الحركة ان تنشأ حركات وطنية تدعو الى الحصر والتماسك اذا كانت العالمية تدعو الى الاندماج والانسياح ويجب ان تقف الحركتان وجها لوجه في كل وقت حتى نخرج منهما بالتوازن والاعتدال

ونحن في مصر نود لو أن شيئا من هذه النزعة الألمانية في تقديس التاريخ والتصوف الوطني قد انتقل الينا . فأن في تاريخ آبائنا الفراعنة وفي هذا الخط الذي جعل مصر محور الحضارة وأصل التاريخ العالمي مايجعلنا نحس بهذه الصوفية الوطنية. وهذا هو مارفع الفراعنة في قلوبنا الى مقام الاولياء والقديسين

سوريا والاسكندرونة والمستقبل

في سبتمبر الماضي عقدت معاهدة بين سوريا وفرنسا تعترف فيها هذه الثانية بشيء يقارب الاستقلال السوري . ولكن ما هو أن ذاع خبر هذه المعاهدة حتى هبت الحكومة التركية تطالب عن طريق صحفها باستقلال سنجق الاسكندرونة وهي تزعم أن أكثرية السكان هناك تركية . وهب السكان الاتراك لهذا السنجق يطلبون الانفصال من سوريا . وأخذ التصادم يتوالى بين العرب وبين الاتراك كما أخذت الحكومة التركية تنبه الحكومة الفرنسية الى هذا التصادم وتلح في استقلال السنجق

وأحيل الخلاف على عصبة الامم فانتدبت هذه لجنة برياسة المسيو ساندلر وزير الخارجية في

أسوج . وقد انتهت اللجنة بمنح السنجق حكومة ذاتية يرأسها مندوب من عصبة الأمم . والحل حسن بل هو يدل على فطنة عصبة الامم وعلى الاتجاهات الحرة التى تتجه اليها فى فض الخلافات فان الحكومة الذاتية نوع من الاستقلال الذى تنشده كل أمة ، ومندوب العصبة سيكفل للسنجق مع ذلك انصاف الاقلية من الا كثرية ومنع التأثير السيء سواء من ناحية تركيا ام من ناحية سوريا

ولكن السوريين غير راضين عن هذا الحل . وسوريا هى أكثر الاقطار العربية عروبة . ولذلك يشق عليها أن ترى سنجقا كبيرا مثل الاسكندرونة ينال استقلالا ذاتياً وتسوده النزعات التركية الحديثة التى يقول بها السكان الاتراك وهم الا كثرية المتعلمة الراقية التى يسفر نساؤها ويتخذ رجالها القبعة ويكتبون بالخط اللاتينى ويأخذون بالآراء العصرية . وفى مثل هذه الحالة لو كان الاتراك أقلية لسادوا العرب المتمسكين بالتقاليد الكارهين للحضارة الحديثة . فكيف بهم وهم أكثرية ؟

والسوريون فى مجموعهم يكرهون الروح العصرى ويتعلقون بتاريخ العرب ومجد العرب وقد كانت لهم جامعة بها كلية للطب أضاعوا فيها من الوقت والجهد فى ترجمة الالفاظ الفسيولوجية والجراحية ما نعده عبثاً لا طائل وراءه . وهم هنا يختلفون كل الاختلاف من البنانيين الذين يتجهون بعنف نحو أوربا . والبنانيون أقرب الامم العربية الى الاتراك فى النزعات والأخلاق والثقافة والروح العصرى . ولذلك لا يطيقون ما يدعو اليه السوريون من الاتحاد لأنهم يزعمون أن السورى رجعى وأنهم هم مجددون . وهذا الزعم يستند الى شيء كبير من الحق . فان تسعة أعشار السوريين يفكرون فى الماضى ويودون لو يولى عليهم ملك الحجاز عبد العزيز آل سعود . وقد زال الحجاب من مصر ولبنان وهو يوشك ان يزول من العراق ولكن النساء السوريات قد ضرب عليهن الحجاب . والفلاح السورى هو اقرب الفلاحين فى العالم العربى الى البدو فى اللباس والأخلاق ولهجة الحديث

وفى سوريا الان زعيمان أحدهما شكيب أرسلان والثانى الدكتور شهبندر . والاول رجل يفاخر برجعيته وليس بعيدا عليه أن ينزع ملابسه الاوربية ويتخذ الملابس العربية البدوية كما ليس بعيدا أن تكون له آراء شاذة عن السكان المسيحيين فى سوريا أو عن السكان الاتراك فى الاسكندرونة وقد صرح قريباً بأن الوطنى الحق هو المسلم وحده . أما المسيحيون فلا وطنية لهم

واذا كانت حكومتنا قد احتاطت منه ومنعته من النزول فى مصر فلأنها كانت تعرف عنه أشياء لا تتفق ومصلحة السلم العام . وظننا أن حكومة العراق قد تتخذ مثل هذه التدابير نحوه .

واعتقادنا أنه سيتعب سوريا كثيرا في نزغات ونزوات ليست كلها للمصلحة العامة . وحياته الماضية لا يرتاح اليها من يعرفها

أما الدكتور شهبندر فرجل غربي المزاج يدعو للحضارة الحديثة ويطلب لسوريا الرقي العصري وحياته الماضية بريئة وكانت كلها في خدمة وطنه . وقد ضحى بماله وراحته من أجل الحركة الوطنية السورية . وهو بعيد عن التنطع الديني ولا يفتأ يدرس المشاكل العصرية والنزعات الجديدة . وقد عاش بيننا الدكتور شهبندر فكان مثالا للجد في عمله والاخلاص لوطنه والاستقامة في أخلاقه وجدير بالامة العربية التي ينتسب اليها أن تفخر به

فاذا قدر لسوريا أن تنقاد لزعامة شكيب أرسلان فانها سوف تندم على أيام الانتداب الفرنسي أما اذا أتاح لها الحظ أن يتولى قيادتها الدكتور شهبندر فانها ستشق لها طريقا نحو نور القرن العشرين بعد ظلام القرون الوسطى . واذا كانت قد فقدت سنجق الاسكندرونة فان أعظم ما أفقدها أياه هي هذه الرجعية التي اتهمتها بها الصحف التركية اتهاما حقاً

فهل هي ماضية موغلة في هذه الرجعية أم هي منتبهة الى قيمة الحضارة الحديثة ؟ أو نقول بكلمة أخرى هل هي تنظر الى الجنوب حيث بادية نجد أم تنظر الى الشمال حيث تركيا الناهضة

التعصب الديني

ليس المزاج المصري مزاج التعصب . فان ما يعاب علينا جميعا من التسامح وقول «معليش» هو أيضا ما يسود علاقاتنا ونظرتنا الى الخلافات المذهبية . ولم تعرف مصر قط نزعات التعصب الا حين كان الولاة والطبقة السائدة من الاجانب . وقد ظهر بيننا سياسيون كثيرون لم نعرف منهم واحدا يشبه أو يقارب الزعيم السوري شكيب ارسلان الذي صرح قبل أسابيع ان المسيحيين يجهلون الوطنية وأن الوطنيين هم المسلمون فقط . ويرجع الفضل في ذلك الى اننا بمزاجنا المصري الذي ورثناه بالدم والثقافة نحب التسامح الذي هو فضيلتنا في الخلافات السياسية والمذهبية

ولولا فضيلة التسامح هذه التي نتسم بها جميعا مسلمين وأقباطا لبقي معارضو الوفد عقب الاستقلال غير ما يلقونه الان . فان الوفديين نسوا خصومهم الذين ضربوهم بالبنادق والعصي وشردوهم وقتلوهم نسيانا تاما وعادوا يؤاخونهم مؤاخاة الأصدقاء . وهذا هو ما نحمده ونعزوه الى مزاجنا المصري

بل الواقع أننا حين نسمع عن مصادمات بين الاقباط والمسلمين في مثل دندره أو طهطا نجد بعد قليل من البحث ان وراء هذا العنف عنصرا غير مصري هو في الغالب بعض اولئك الاعراب

البعيدين عن الروح المصرى الصميم

وقد رأى المستبدون فى السنين الماضية فى اتفاق العنصرين اتحادا قويا لا طاقة لهم به ولا سبيل الى شقه ففكروا فى استغلال الدين وبعثوا فى المصالح روحا خبيثا للتفريق بتعيين الموظفين هذا مسلم وهذا قبطى . ولم يكن التعصب هنا غاية بل كان وسيلة لشق الوفد وتفتيت الكتلة الوطنية فرأينا فى بعض السنين الماضية الترقيات تتخطى الاقباط ورأينا بعثات الجامعة أو المصالح الحكومية ليس فيها قبطى واحد الا على سبيل الشذوذ الذى يلفت النظر . ورأينا بعض المدارس الحكومية لا يكاد يقبل فيها قبطى . ومن اثار هذه النزعة ما رأيناه هذا الشهر فان خريجى مدرسة البوليس وكذلك الكونستبلات الذين نالوا الترقية ليس بينهم قبطى واحد مع انهم يبلغون الخمسين او الستين

ولا يمكن ان يلام الوفديون على هذه الحالة . لأنها تراث سيء ورثوه من الوزارات السابقة بل ان هذا التفريق كان بعض اسلحة المستبدين لهدم الوفد ، وهو لا يزال كذلك عند المعارضين

وقد اخذ المعارضون يكثرون هذه الايام من خلط الوطنية بالدين أو من استغلال الدين لمعارضة الوزارة الوفدية . فالمعارضون يطلبون تعليم الدين فى كليات الجامعة ويطلبون فصل الجنسين فى التعليم . ويطلبون انشاء مجلة اسمها الخلافة . ويطلبون طرد المبشرين المسيحين من مصر مع أنه يجب علينا أن نعين المبشرين المسلمين فى الهند والحبشة والصين وجاوة . ويطلبون أن يتوج الملك فاروق فى الجامع الازهر مع ان التتويج لم يعرفه الاسلام قط . ويطلبون ويطلبون

وهذه الرغبة الحارة فى طبع الحياة السياسية فى مصر بالطابع الدينى أو هذه الغيرة الدينية الحادة ليست من مزاجنا المصرى . فاننا بدمنا المصرى ومناخنا المصرى نحب التسامح . ولذلك نؤكد أن هذا التعصب الطارىء مفتعل لا أصل له فى ضمائرنا وصميم قلوبنا . وان المستبدين الذين استطاعوا ان يوجدوا شيئا منه فى السنين الماضية فى وظائف الحكومة او فى مدرسة البوليس أو نحوها انما فعلوا ذلك لانهم كانوا بعيدين عن المزاج المصرى أو لانهم أرادوا شق الوفد وهو الهيئة التى كانت عليهم نارا و دمارا

فهرست

ص اغسطس سنة ١٩٣٧

الاشتراك في هذه المجلة

في مصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشاً وسنتين ٦٥ قرشاً و ٣ سنوات ٩٠ قرشاً وخارج القطر (داخل الاتحاد البريدي) ١١ شلناً للسنة و ٢٠ شلناً لسنتين و ٣٠ شلناً لثلاث سنوات.

يجب إضافة ١٠ قروش (شلنين) في السنة لكل مشترك خارج الاتحاد البريدي

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين) مصر